الإيمان بالقران الكريم والكتب السماوية

حقوق الطبع والتصوير محفوظة
الطبعة الأولى
1431هـ 2010م

سلسلة أركان الإيمان (5)

قال تعالى: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} [الحشر: 21].

الإيمان بالقران الكريم
والكتب السماوية

تأليف
الدكتور علي محمد محمد الصّلاّبي

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ *}

الإهداء

إلى كل إنسان يبحث عن منهج الله في الوجود

أهدي هذا الكتاب..

قال تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا *} [الكهف: 110].

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ *}

مقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذُ باللهِ من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله.

قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ *} [آل عمران: 102].

وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا *} [النساء: 1].

وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا *يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا *} [الأحزاب: 70 . 71].

يا ربِّ لك الحمدُ حتى ترضى، ولك الحمدُ إذا رضيتَ، ولك الحمدُ بعد الرضا.

أمّا بعدُ: فهذا الكتابُ يتحدّث عن الإيمان بالقران الكريم والكتب السماوية، وهو من ضمن سلسلة أركان الإيمان، وقد قمت بتقسيمه إلى بابين؛ أما الباب الأول: فقد خصص للإيمان بالقران الكريم، وهو ينقسم إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تحدّثت فيه عن القران الكريم، تعريفه وعظمته وأسماؤه، ثم صفاته، ومنها: الحكيم، والعزيز، والكريم، والمجيد، والعظيم، والبشير، والنذير.

وفي الفصل الثاني: أشرت إلى خصائص القران الكريم، والتي من أهمها كونه كتاب إلهي، ومحفوظ ومعجز، ومبيَّن وميسَّر، وكتاب هداية، وكتاب الإنسانية كلها والزمن كله، ونزل بأرقى اللغات وأجمعِها، ومهيمنٌ على الكتب السماوية السابقة.

وفي الفصل الثالث: تكلمت عن مقاصد القران الكريم، والتي من أهمها، تصحيح العقائد والتصورات، وتزكية النفس البشرية، وعبادة الله وتقواه، وإقامة العدل بين الناس، والشورى، والحرية، ورفع الحرج، وتقرير كرامة الإنسان بالأخلاق والفضائل، وتقرير حقوق الإنسان، كحق الحياة والحرية والمساواة والعدالة، وحق الفرد في محاكمة عادلة، وحق الحماية من تعسف السلطة، وحق الفرد في حماية عرضه وسمعته، وحق اللجوء، وحقوق الأقليات، وحق المشاركة في الحياة العامة، وحق الدعوة والبلاغ والحقوق الاقتصادية، وحق المِلْكية، وحق العامل، وحق الفرد في كفايته من مقومات الحياة، وتأكيد حقوق الضعفاء.

ومن مقاصد القران الكريم: تكوين الأسرة الصالحة، وإنصاف المرأة وتحريرها من ظلم الجاهلية، وبناء الأمة الشهيدة على الناس، والسماحة والرحمة، والوفاء بالعهود والعقود.

وفي الفصل الرابع: تكلّمت عن جمع القران وكتابته، وقد بيّنت المراحل التي مرَّ بها المشروع الحضاري في جمع القران الكريم، وكتابته من عهد النبي (ص) إلى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أما الباب الثاني: فقد تحدّث عن الكتب السماوية، وقد تضمن خمسة فصول:

الفصل الأول: في وجوب الإيمان بالكتب السماوية .

والفصل الثاني: في الكتب التي ورد ذكرها في القران الكريم.

والفصل الثالث: في تحريف الكتب السابقة .

والفصل الرابع: في أهمية الإيمان بالكتب السماوية.

أما الفصل الخامس: ففي بيان أن القران الكريم نسخ الكتب السابقة كلها.

هذا وقد انتهيتُ من هذا الكتاب يوم الخميس في الساعة السادسة إلا ربع مساءً بتاريخ 24 شعبان 1431هـ الموافق 2010/8/5م، والفضل للهِ من قبلُ ومن بعدُ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبّل هذا العمل، ويشرح صدورَ العباد للانتفاع به، ويبارك فيه بمنه وكرمه وجُوْده، قال تعالى: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *} [فاطر: 2].

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقفَ بقلب خاشعٍ منيبٍ أمام خالقي العظيم، وإلهي الكريم، معترفاً بفضله وكرمه وجُوده، متبرئاً من حولي وقوتي، ملتجئاً إليه في كل حركاتي وسكناتي، وحياتي ومماتي، فالله خالقي هو المتفضل، وربي الكريم هو المعين، وإلهي العظيم هو الموفق، فلو تخلّى عني ووكلني إلى عقلي ونفسي لتبلّد مني العقل، ولغابت الذاكرة، وليبست الأصابع، ولجفّتِ العواطف، ولتحجّرت المشاعر، ولعجز القلم عن البيان، اللهم بصرني بما يرضيك، واشرح له صدري، وجنبني اللهم ما لا يرضيك، واصرفه عن قلبي وتفكيري، وأسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تجعل عملي لوجهك خالصاً، ولعبادك نافعاً، وأن تثيبني على كلِّ حرف كتبته، وتجعله في ميزان حسناتي، وأن تثيب إخواني الذين أعانوني على إتمام هذا الجهد الذي لولاك ما كان له وجودٌ ولا انتشارٌ بين الناس، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه.

{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ *} [النمل: 19].

وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ *} [الحشر: 10].

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

Mail: info@alsallab.com علي محمد محمد الصَّلاّبي
Website.www.alsallab.com غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الباب الأول

الإيمان بالقران الكريم

الفصل الأول: القران الكريم: تعريفه، عظمته، أسماؤه، صفاته

الفصل الثاني: خصائص القران الكريم

الفصل الثالث: مقاصد القران الكريم

الفصل الرابع: جمع القران الكريم وكتابته

الفصل الأول

القران الكريم

تعريفه، عظمته، وأسماؤه، صفاته

المبحث الأول: تعريف القران الكريم

المبحث الثاني: عظمة القران الكريم

المبحث الثالث: أسماء القران الكريم

المبحث الرابع: صفات القران الكريم

المبحث الأول

تعريف القران الكريم

أولاً ـ القران لغة:

اتفق أهلُ العلمِ رحمهم الله على أنَّ لفظَ «قران» اسمٌ وليس بفعلٍ ولا حرفٍ، لكنّهم اختلفوا فيه من جهة الاشتقاق أو عدمه، ومن جهة كونه مهموزاً أو غير مهموزٍ، ومِنْ جهة كونه مصدراً أو وصفاً على أقوال عدة تجمل فيما يأتي[(1)]:

القول الأول: إنه اسم علم غير منقول، وضع من أوّل الأمر علماً على الكلام المنزَّل على محمد (ص)، وهو اسمٌ جامدٌ غيرُ مهموز، مثل التوراة والإنجيل، وهذا القولُ مرويٌّ عن جماعةٍ من العلماء منهم: الشافعي، وابن كثير، وغيرهما رحمهم الله جميعاً، وقد نقل ابن منظور أنَّ الشافعي رحمه الله كان يقول: القرانُ اسمٌ، وليس بمهموزٍ، ولم يؤخذ من قرأتُ، ولكنّه اسمٌ لكتابِ اللهِ مثل التوراة والإنجيل[(2)].

القول الثاني والثالث: هما قولان للقائلين بأن لفظ القران مهموز[(3)]:

الأول: أنّ القران مصدر «قرأ» بمعنى «تلا» كالرجحان والغفران، ثم نُقِلَ من المصدر، وجُعِلَ اسماً للكلام المنزَّل على نبينا محمد (ص)، ويشهد له قوله

تعالى: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ *} [القيامة: 18] أي: قراءته.

وقول حسان بن ثابت يرثي عثمان رضي الله عنه:

ضَحَّوا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ الليلَ تَسْبِيْحاً وقرانا

أي: قراءةً[(4)].

الثاني: أنّ القران وصفٌ على وزن فعلان، مشتقٌّ من «القَرْءِ» بمعنى الجمع، ومنه: قرأ الماءَ في الحوض؛ إذا جمعه، وقرأتُ الشيءَ قراناً: جمعته وضممت بعضَه إلى بعض[(5)]. وسمي القرانُ قراناً، لأنّه جمعَ القِصَصَ، والأمرَ والنهيَ، والوعدَ والوعيدَ، والاياتِ والسور بعضها إلى بعضٍ، وهو مصدرٌ كالغفران والكفران[(6)].

القولان الرابع والخامس: هما قولان للقائلين بأنّ لفظ القران غيرُ مهموزٍ، لكنّهم اختلفوا في أصل اشتقاقه على قولين أيضاً:

الأول: أنّه مشتقٌّ من القران، تقول: «قَرَنْتُ الشيء بالشيء» إذا ضَممتُ أحدُهما إلى الاخر.

قالوا: فسُميّ القران به: لِقِرانِ السُّور والاياتِ والحروفِ فيه، ومنه سُمّيَ الجمعُ بين الحجِّ والعمرة في إحرامٍ واحدٍ قراناً[(7)].

الثاني: أنّه مشتقٌّ من «القرائن» جمعُ قرينة، لأنّ اياته يُصدِّقُ بعضُها بعضاً، ويُشبه بعضُها بعضاً [(8)].

ويظهر ـ والله أعلم ـ أنّ أرجحَ هذه الأقوالِ هو القولُ الثاني، لِقُربِ اشتقاقه من كلمة القرانِ لفظاً ومعنى. وأصبح لفظ القران ـ بعد ذلك ـ: علماً على الكتابِ المنزل[(9)].

ثانياً ـ القران اصطلاحاً:

وقد ذكر العلماء رحمهم الله للقران الكريم تعريفاً اصطلاحياً يُقرِّبُ معناه، ويميزه عن غيره، فعرّفوه بأنه: كلامُ اللهِ المنزلُ على نبيّه محمد (ص)، المُعْجِزُ بلفظه، المتعبَّدُ بتلاوته، المكتوبُ في المصاحفِ، المنقولُ بالتواتر[(10)].

* * *

المبحث الثاني

عظمة القران الكريم

تحدّث المولى عزّ وجلّ في كتابه عن عظمة القران الكريم، ومن خلال اياته الحكيمة نبيّن هذه العظمة، وإليك التفصيل:

1. ثناء الله على كتابه:

أثنى الله تعالى على كتابه العزيز في ايات كثيرة، ممّا يدلُّ على عظمته؛ فقد وصفه «بالعظيم» في قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ *}[الحجر: 87].

ووصفه «بالإحكام» في قوله تعالى: {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ*} [هود: 1].

وذكر هيمنته على الكتب السابقة في قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ} [المائدة: 48]. وهذا الكتاب هو المهيمن الحافظ لمقاصدِ الكتب المنزلةِ قبله، الشاهد المؤتمن على ما جاء فيها، يُقِرُّ الصحيحَ فيها، ويُصحّحُ الخطأ.

ووصفه في أم الكتاب بأنه «عليٌّ حكيم» في قوله تعالى: {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ*} [الزخرف: 4]. فهذه شهادةٌ من الله تعالى بعلوّ شأن القران وحكمته، ولا ريبَ أنَّ من عظمة القران أنه «عليٌّ» في محلّه، وشرفه، وقدره، فهو عالٍ على جميع كتب الله تعالى، بسبب كونه معجزاً باقياً على وجه الدهر[(11)]. ومعنى الحكيم: المنظومُ نظماً متقناً، لا يعتريه أيُّ خللٍ في أي وجهٍ من الوجوه،

فهو حكيمٌ في ذاته، حاكمٌ على غيره، والقران «حكيم» كذلك فيما يشتمل من الأوامرِ، والنواهي، والأخبار، وليس فيه حكمٌ مخالِفٌ للحكمة والعدل والميزان.

ومن ثناء الله تعالى على القران أن وصفه في ثلاث سور بأنه «كتاب مبارك». قال تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ *} [الأنعام: 92]. وقال تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ *} [الأنعام: 155]. وقال تعالى: {وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ *} الأنبياء: 50]. وبركة هذا الكتاب تمتدّ إلى يوم القيامة، وعطاؤه نامٍ لا ينفد .. يواكِبُ الحياة بهذا العطاء، ثم يأتي شفيعاً لأصحابه[(12)].

2 . عظمة مُنَزِّلِهِ سبحانه وتعالى:

العظيم: ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه عزّ وجلّ، والعظمةُ صفةٌ من صفاتِ الله، لا يقومُ لها خلق، والله تعالى خلق بين الخلق عظمةً يعظم بها بعضُهم بعضاً، فمن الناس من يعظَّم لمال، ومنهم من يُعَظَّم لفضلٍ، ومنهم يعظَّمُ لعلمٍ، ومنهم من يعظَّم لسلطانٍ، ومنهم من يعظَّم لجاهٍ، وكل واحد من الخلق إنما يعظم بمعنى دون معنى، والله عزّ وجلّ يعظّم في الأحوال كلها، فينبغي لمن عرفَ حقّ عظمة الله ألا يتكلّم بكلمةٍ يكرهها الله، ولا يرتكب معصية لا يرضاها الله، إذ هو القائمُ على كلّ نفسٍ بما كسبت[(13)].

فالله تعالى هو العظيمُ المطلق؛ لأنّه عظيمٌ في ذاته وأسمائه وصفاته كلها، فلا يجوزُ قَصْرُ عظمته على شيءٍ دون شيءٍ منها، لأنَّ ذلك تحكم لم يأذن به الله[(14)].

فمن عظمته تعالى: أنّه لا يَشُقُّ عليه أنّ يحفظ السماواتِ السبع والأرضين السبع، ومن فيها، وما فيها، كما قال تعالى: {وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ *} [البقرة: 255].

وتتجلّى عظمةُ القرانِ العظيمِ في عظمة مُنزِّله جلّ جلاله، ويتّضحُ ذلك جلياً في عِدّة ايات، منها: قوله تعالى: {الم *تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ *أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ *} [السجدة: 1 . 3].

وقوله تعالى: {حم *تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ *} [الجاثية, الأحقاف: 1 . 2].

3 . فضلُ جبريل الذي نزل بالقران:

نوّه الله تعالى بشأن من نزل بالقران على رسولنا محمد (ص)، وهو جبريلُ عليه السلام، أمينُ الوحي الإلهي، وذكر فضله في عدة ايات، منها:

قال تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ *} [النحل: 102].

وقال تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ *نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ *عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ *} [الشعراء: 192 . 194].

وقد وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بخمس صفات في قوله تعالى: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ *ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ *مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ *} [التكوير: 19 . 21].

وهذه الصفاتُ الخمسُ تتضمّن تزكيةَ سندِ القرانِ العظيم، وأنّه سماعُ نبينا محمد (ص) من جبريل عليه السلام، وسماع جبريل الأمين من رب العالمين، فناهيك بهذا السند علواً وجلالة[(15)].

4 . القران تنزيل رب العالمين:

قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ *نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ *} [الشعراء: 192 . 193].

وقال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ *} [القدر: 1].

وفيه ضميرُ العظمةِ، وإسنادُ الإنزال إليه تشريفٌ عظيم للقران[(16)].

فمن عظمة القران أنّه نزل من الله تعالى وحده لا من غيره، لنفع الناس وهدايتهم، فاجتمعت في القران العظيم فضائل، منها:

ـخ أنه أفضل الكتب السماوية.

ـخ نزل به أفضل الرسل وأقواهم، جبريل الأمين على وحي الله تعالى.

ـخ نزل على أفضل الخلق محمد (ص).

ـخ نزل لأفضل أمة أخرجت للناس.

ـخ نزل بأفضل الألسنة وأفصحها، وأوسعها، وهو اللسان العربي المبين[(17)].

5 . القران مستقيم ليس فيه عوج:

قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا *قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَناً *} [الكهف: 1 . 2].

ونفي العوج عن القران له عدة أوجه، منها:

الأول: نفي التناقض عن اياته، كما قال تعالى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا *} [النساء: 82].

الثاني: إن كل ما ذكر الله تعالى في القران من التوحيد والنبوة والأحكام والتكاليف، وهو حق وصدق، ولا خلل في شيء منه البتة[(18)].

وأخبر تعالى كذلك عن القران أنّه ليس فيه تضاد، ولا اختلاف، ولا عيب من العيوب التي في كلام البشر، فقال تعالى: {قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ} [الزمر: 28]، أي: ليس فيه خلل ولا نقص بوجه من الوجوه، لا في ألفاظه، ولا في معانيه، وهذا يستلزمُ كمال اعتداله واستقامته[(19)].

فقد وصف الله تعالى كتابه العزيز بأوصاف عظيمة تدلُّ على أنه كامل من جميع الوجوه، وعظيم بكل ما تعبر عنه الكلمات، منها:

ـخ نفيُ العوج عنه: وهذا يقتضي أنّه ليس في أخباره كذب، ولا في أوامره ونواهيه ظلمٌ ولا عبثٌ.
ـخ إثبات أنه مستقيم مقيم: فالقران العظيم مستقيم في ذاته، مقيم للنفوس على جادّة الصوّاب، وإثبات الاستقامة يقتضي أنه لا يُخبرُ ولا يأمر إلا بأجلّ الأخبار، وهي الأخبار التي تملأ القلوبَ معرفةً، وإيماناً، وعقلاً، كالإخبار بأسماء الله وصفاته وأفعاله، والإخبار بالغيوب المتقدّمة والمتأخرة، وأن أوامره ونواهيه، تزكي النفوسَ وتطهرها وتنمّيها وتكمّلها لاشتمالها على كمال العدل، والقسط، والإخلاص، والعبودية لله رب العالمين، وحده لا شريك له، فحقيق بكتاب موصوف بما ذُكر، أن يَحمد الله تعالى نفسه على إنزاله[(20)]، وينفي العوج عن القران الكريم، وإثبات استقامته فتتجلّى عظمته، وعلوّ شأنه، ومنزلته عند الله[(21)].

6. خشوع الجبال وتصدُّعها:

قال تعالى: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} الحشر: 21]

أي: لاتّعظ الجبلُ، وتصدّعَ صخرُه، من شدّة تأثره من خشية الله، ففي هذا: بيانُ حقيقة تأثير القران وفعاليته في المخلوقات، ولو كانت جبلاً أشمَّ، وحجراً أصمّ[(22)]، وضُرب التصدّعُ مثلاً لشدة الانفعال والتأثر؛ لأن منتهى تأثر الأجسام الصلبة أن تنشق وتتصدّع، ولا يحصل ذلك بسهولة.

والخشوعُ: هو التّطأطؤ والرّكوع، أي: لرأيته ينزل أعلاه إلى الأرض.

والتصدّع: التشقق، أي: لتزلزل وتشقق من خوف الله تعالى[(23)].

ولا شك أنَّ هذا تعظيمٌ لشأن القران، وتمثيلٌ لعلوّ قدره، وشدّة تأثيره في النفوس، لما فيه من بالغِ المواعظ والزواجر، ولما اشتمل عليه من الوعد الحقّ، والوعيد الأكيد، فإذا كان الجبلُ في غلظته وقساوته لو فهم هذا القران

.كما فهمتموه . لخشع وتصدّع من خوف الله تعالى، فكيف يليقُ بكم أيُّها البشر ألاّ تلينَ قلوبكم وتخشعَ وتتصدّعَ من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره، وتدبّرتم كتابه[(24)]، والمقصود من إيراد الاية: إبرازُ عظمةِ القران الكريم، والحثُّ على تأمل مواعظه الجليلة، إذ لا عذر لأحد في ذلك، وأداء

حق الله تعالى في تعظيم كتابه، وتوبيخ من لا يحترمُ هذا القران العظيم، وفيه كذلك تمثيل وتخييل لعلوِّ شأن القران وقوة تأثير ما فيه من المواعظ[(25)].

7 . انقياد الجمادات لعظمة القران:

قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى} [الرعد: 31].

فهذا شرطٌ جوابُه محذوف، والمرادُ منه: تعظيمُ شأن القران العظيم.

والمعنى: ولو أنَّ قراناً سُيرت به الجبال عن مقارّها، وزُعزعت عن مضاجعها، أو قُطّعت به الأرض حتى تتصدّع وتتزايل قِطَعاً، أو كُلم به الموتى، فتسمع وتجيب، لكان هذا القران، لكونه غاية في التذكير، ونهاية في التخويف[(26)].

والمقصود: بيانُ عظم شأن القران العظيم، وفساد رأي الكفرة، حيث لم يقدّروا قدره العلي، ولم يعدّوه من قبيل الايات فاقترحوا غيره، مما أُوتي موسى وعيسى عليهما السلام . فالمعنى: أي: بإنزاله أو بتلاوته {وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ}، وزعزعت عن مقارها كما فُعل ذلك بالطور لموسى عليه الصلاة والسلام أي: شققت وجُعِلت أنهاراً {أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ}، كما فعل بالحجر حين ضربه موسى عليه السلام بعصاه، أو جعلت قِطَعاً متصدّعة أي: بعد {أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى} أحييت بقراءته عليها، كما أُحييت لعيسى عليه السلام،

لكان هذا القرانُ، لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب اثار قدرة الله تعالى وهيبته[(27)].

8 . تحدي الإنس والجن بالقران:

من مظاهر عظمة القران وعلوِّ شأنه، أنّ الله تعالى تحدّى الإنسَ والجنَّ أن يأتوا بمثله، أو بعشرِ سورٍ من مثله أو بسورةٍ مثله[(28)].

قال تعالى: {قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا *} [الإسراء 88].

وقال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ *} [هود: 13 . 14].

ومع ذلك كله، ما ثابوا إلى رشدهم، وما وجدوا ما يتكلّمون به، فعادوا لما نهوا عنه، وقالوا: «اختلقه محمد عمداً»، فاستدرجهم الله تعالى من حيث لا يعلمون، ووصل بهم إلى غايةِ التّبكيت والخذلان، وتحدّاهم أن يأتوا بسورةٍ مثلَ القران فعجزوا.

قال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *} [يونس: 38].

ولما بُهِتَ الذين كفروا؛ ولم يستسلموا؛ صاروا كالذي يتخبّطه الشيطانُ من المسِّ، مرةً يقولون استهزاء: {لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ *} [الأنفال: 31] وأخرى يقولون عابثين: {ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ} [يونس: 15].

وصار أمرُهم على ما يقول الله العظيم: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ *} [يونس: 39][(29)].

فهذا القران العظيمُ ليس ألفاظاً وعباراتٍ يحاول الإنس والجن أن يحاكوها، كلا وربّي، إنّه كلام الله تعالى، الذي تحدّى به الخلق كلهم، فقال عزّ من قائل حكيم: {قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا *} [الإسراء: 88].

فهذا تنويهُ بشرفِ القران وعظمتِه، وهذه الاية ونحوها تُسمّى ايات التحدي، وهو تعجيزُ الخلق أن يأتوا بمثل هذا القران الكريم، أو سورة منه[(30)].

وكيف يقدرُ المخلوقُ من ترابٍ أن يكون كلامُه ككلام ربّ العالمين؟! أم كيف يقدِرُ الناقصُ الفقيرُ من كل الوجوه أن يأتيَ بكلام ككلام الكامل، الذي له الكمال المطلق، والغنى الواسع من جميع الوجوه؟ هذا ليس في الإمكان؛ ولا في قدرة الإنسان، وكل مَنْ له أدنى ذوق ومعرفة بأنواع الكلام، إذا وزن هذا القران العظيم بغيره من كلام البلغاء؛ ظهرَ له الفرق العظيم[(31)].

فعظمةُ القران، وعلوُّ شأنه، لا تجعل للخَلْق من إنسٍ وجِنٍّ مطمعاً في الإتيان بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً[(32)].

* * *

المبحث الثالث

أسماء القران الكريم

للقران الكريم أسماء عظيمة، من أهمها:

1 . الفرقان:

سمّى الله تعالى القران فرقاناً في أربع ايات في كتابه المبارك، وهي:

قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا *}[الفرقان: 1].

وقال تعالى: {وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ} [آل عمران: 4].

وقال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة 185].

وقال تعالى: {وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً *} [الإسراء: 106].

وذكر المفسّرون في سببِ تسمية القران بالفرقان أقوالاً، منها:

ـخ سُمي بذلك، لأنّ نزوله كان متفرّقاً، أنزله تعالى في نيف وعشرين سنة، في حين أنَّ سائرَ الكتبِ نزلت جملةً واحدةً[(33)].

ـخ سُمي بذلك، لأنه يفرّق بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والمجمل والمبين، والخير والشر، والهدى والضلال، والغي والرشاد، والسعادة والشقاوة، والمؤمنين والكافرين، والصادقين والكاذبين، والعادلين والظالمين، وبه سُمي عمر بن الخطاب رضي الله عنه الفاروق.

وقد بيّن ابنُ عاشور رحمه الله سببَ تسمية القران بالفرقان بقوله: ووجه تسميته الفرقان أنّه امتازَ عن بقية الكتب السماوية بكثرةِ ما فيه من بيان التفرقة بين

الحق والباطل، فإنّ القرانَ يَعْضُدُ هديه بالدلائل والأمثال ونحوها، وحسبُك ما اشتمل عليه من بيان التوحيد وصفات الله مما لا تجدُ مثله في التوراة والإنجيل، كقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: 11][(34)].

ـخ وقيل: الفرقانُ: هو النجاةُ، سُمي بذلك لأنَّ الخلقَ في ظلمات الضلالات، وبالقران وجدوا النجاة، وعليه حمل المفسرون قوله تعالى: {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ *} [البقرة: 53][(35)].

وسواء كانت تسميةُ القران العظيم بالفرقان؛ لأنّ نزوله كان متفرّقاً في نيف وعشرين سنة، بينما سائر كتب الله تعالى نزلت جملةً واحدةً، أو سُمي بذلك لأنّه يفرّق بين الحق والباطل، أو لأنّ فيه نجاة من ظلمات الضلالات، فهذا الاختلافُ في التنوع يدلُّ دلالةً صريحةً على عظمة القران، ورِفْعةِ منزلته عند الله تعالى، وعلوّ شأنه[(36)].

2 . البرهان:

سمّى الله القرانَ برهاناً في اية واحدة في كتابه العزيز، وهي قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ} [النساء: 174]. فهذا خطابٌ لكلّ أصحاب الملِ، اليهود والنصارى والمشركين وغيرهم، أنَّ الله تعالى أقامَ بهذا القرانِ الحجة عليهم، تُبرهن لهم بطلانَ ما هم عليه من الدين المنسوخ، وهذه الحجةُ تشمل الأدلة العقلية والنقلية والايات الافاقية، كما قال تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} [فصلت: 53].

بل كفى بالقران العظيم وحده برهاناً على صدق الرسول (ص) في دعوى الرسالة[(37)].

فالقرانُ برهانٌ من الله لعباده، أقام به الحجةَ عليهم، وأظهر من خلاله أوضحَ الدلالات، وأقواها على موضوعاته ومعانيه وحقائقه في العقيدة والحياة، وكلُّ

من تعامل مع أدلة القران في يُسرها ووضوحها، وتأثر قلبه وعقله بها، وقارنها بالأدلة والبراهين والأقيسة التي أوجدتها العقول البشرية، وقررتها وبينتها، كل من فعل ذلك يُدركُ طرفاً من البرهان القراني، ويسره، ووضوحه[(38)].

وتتجلّى عظمة القران الكريم ومنزلتُه العالية من خلال تسميته بالبرهان، ذلك لأن الله تعالى أقامَ به الحُجة على عباده، تُبرهن لهم بطلان ما هم فيه من الدين المنسوخ، وهي حُجة متنوعة في الاستدلال لتستوعبها عقولُ البشرِ على اختلاف فهومهم وثقافاتهم، وهذا من رحمة الله تعالى وحكمته[(39)].

3 . الحق:

سمّى الله تعالى القرانَ حقاً في مواضعَ عِدّة من كتابه، نأخذُ منها ما له صلة بموضوعنا، وهي: قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ *} [الحاقة: 51]. أي: وإنّ القران لكونه من عند الله حقٌّ لا ريبَ فيه، ولا يتطرّقُ إليه شك[(40)].

وقال تعالى: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} [الأنبياء: 18]. والقذف: الرّمي، أي: نرمي بالحقِّ على الباطل أي: يقهره {فَيَدْمَغُهُ}

وأصلُ الدمغ: شجُّ الرأس حتى يبلغَ الدماغ، ومنه الدّامغة، والحق هنا: القران، والباطل: الشيطان في قول مجاهد[(41)].

وقال تعالى: {وَكَذَّبَ بِهِ قَومُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ *} [الأنعام: 66]. والضمير في قوله عائدٌ على القران؛ الذي فيه تصريفُ الايات

وقوله تعالى: جملةٌ {وَهُوَ الْحَقُّ}، تتضمّن شهادةَ الله بأنّ هذا القران المنزَّل على هذا النبيِّ الكريم (ص) هو الحقُّ من اللهِ[(42)]، والمعنى أي: بالقران الذي جئتم {وَكَذَّبَ بِهِ قَومُكَ}، والهدى، والبيان،

يعني: قريشاً، أي: الذي ليس وراءه {وَهُوَ الْحَقُّ}، أي: لستُ عليكم {قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ *}، ولستُ بموكل بكم[(43)].

وقوله تعالى: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ *} [هود: 17]. وقوله تعالى: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ} بالقران، ولم يُصدق بتلك الشواهد الحقة. وقوله تعالى: {فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ} في شك من أمر القران، وكونه من عند الله عز وجل[(44)]، وفيه تعريضٌ بغيره (ص)، لأنّه معصومٌ عن الشك في القران[(45)].

وقوله تعالى: أي: القران حق من الله تعالى {إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} مرية ولا شك فيه. وقوله تعالى: أي: إمّا جهلاً منهم {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ *}، وإمّا ظلماً وعناداً وبغياً، وإلا فمن قصده حسناً، وفهمه مستقيماً، فلابدّ أن يؤمن به، لأنه يرى ما يدعوه إلى الإيمان من كلِّ وجهٍ[(46)].

وقال تعالى: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ *قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِىءُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ *} [سبأ: 48 . 49]. وقوله تعالى: أي: وهو الإسلام والقران

وكأنَّما الحق قذيفةٌ تصدعُ وتخرقُ وتنفذ، ولا يقفُ لها أحدٌ في طريق، يقذف بها الله تعالى علاّم الغيوب، فهو يقذف بها عن علم، ويوجهها على علم، ولا يخفى عليه هدفٌ، ولا تغيب عنه غاية، فالطريقُ أمامه تعالى مكشوف ليس فيه ستور[(47)].

ومن خلال تسمية القران الكريم باسم الحق تبرزُ عظمتهُ ومنزلتُه العالية، فلا بدّ أن يؤمنَ الناسُ بهذا الحق الأوحد، ويستجيبوا له؛ لأنّ مصدره هو الإله الأوحد جلّ جلاله[(48)].

4 . النبأ العظيم:

قال تعالى: {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ *أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ *} [ص: 67 . 68] أي: خبر عظيم، وشأن بليغ، وهو إرسالُ الله إياي إليكم أي: غافلون. في {أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ *} عزّ وجلّ: يعني: القران وقال تعالى: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ *عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ *} [النبأ: 1 . 2].

ولاشك بأنّ القران نبأ عظيم، فمنذ إيجاد البشرية، وتكوينها، ما رأتْ ولا سمعتْ بمثل هذا القران العظيم، فهو عظيمٌ في أسلوبه، وعظيمٌ في روعته، وعظيمٌ في معناه، وعظيمٌ في جمال تركيبه، وعظيمٌ في وعده ووعيده، وعظيم في أحكامه، وعظيمٌ في أمره ونهيه، وعظيمٌ في أخباره وقصصه وأمثاله[(49)].

5 . البلاغ:

قال تعالى: {هَذَا بَلاَغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ} [إبراهيم: 52].

فلمّا بين البيان المبين في هذا القران قال في مدحه: أي: يتبلّغون {هَذَا بَلاَغٌ لِلنَّاسِ}، ويتزودون إلى الوصول إلى أعلى المقامات، وأفضل الكرامات ما اشتمل عليه من الأصول والفروع، وجميع العلوم التي يحتاجها العباد لما فيه من الترهيبِ من أعمال {وَلِيُنْذَرُوا بِهِ}، وما أعد الله لأهلها من العقاب[(50)].

6 . الروح:

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا} [الشورى: 52].

والمعنى: حين أوحينا إلى الرسل قبلك وهو: هذا القران {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا}، سمّاه روحاً، لأنّ الروح يحيا به الجسد، والقران تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير، وهو محض منة الله على رسوله (ص) وعباده المؤمنين، من غير سبب منهم؛ ولهذا قال تعالى: أي: قبل نزوله عليك أي: ليس {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ} علمٌ بأخبار الكتب السابقة، ولا إيمان وعمل بالشرائع الإلهية، بل كنت أمياً لا تخطُّ ولا تقرأ، فجاءك هذا الروحُ الذي {جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا} به في ظلمات الكفر والبدع، والأهواء المردية، ويعرفون به الحقائق، ويهتدون به إلى الصراط المستقيم[(51)].

7 . الموعظة:

قال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ} [يونس: 57] يعني: القران يتعظ به من قرأه وعرف معناه.

يا أيها الناس قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية، الكاشفة عن محاسن الأعمال ومقابحها، المرغبة في المحاسن، والزاجرة عن المقابح.

قد جاءكم كتابٌ جامعٌ لكلّ المواعظ أو الوصايا الحسنة؛ التي تُصلح الأخلاق والأعمال، وتزجر عن الفواحش، وتشفي الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد، وتهدي إلى الحق واليقين والصراط المستقيم الموصل إلى سعادة الدنيا والاخرة[(52)].

فكفى بالقران واعظاً، وكفى بالقران زاجراً، وكفى بالقران هادياً ومُذَكّراً[(53)].

8 . الشفاء:

سمّى الله عزّ وجلّ القران العظيم شفاءً في ثلاثة مواضع من كتابه، وهي:

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَاالنَّاسُقَدْجَاءَتْكُممَّوْعِظَةٌمِّنرَّبِّكُمْوَشِفَاءٌلِّمَافِيالصُّدُورِ}

[يونس: 57]. أي: دواء للقلوب من أمراضها التي هي أشدُّ من أمراض الأبدان، كالشك، والنفاق، والحسد، والحقد، وأمثال ذلك[(54)].

وقال تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء: 82] فالقران كله شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين[(55)].

وقال تعالى: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ} [فصلت: 44].

فالقران الكريم شفاءٌ من أمراض القلوب والنفوس والجوارح، وأمراض السياسة والاقتصاد والحياة والحضارة، وغيرها من أمراض العصر، فمن عظمة القران الكريم، وعلوّ شأنه، وعظمةِ تأثيره: أنَّ فيه الشفاء الكامل لأمراض الاعتقادات الباطلة، والأخلاق المذمومة، والأمراض الجسدية، وشفاؤه يمتدّ كذلك إلى الأمراض المعاصرة المزمنة؛ لو أخذ الناسُ بتعاليمه وأدويته النافعة فعملوا بها[(56)].

9 . أحسن الحديث:

قال تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} [الزمر: 23]. يعني: أحكم الحديث، وهو القران[(57)]، وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله، هذا القرانُ، وإذا كان هو الأحسن، عُلِمَ أنَّ ألفاظَه أفصحُ الألفاظ وأوضحُها، وأن معانيه أجلُّ المعاني، لأنه أحسنُ الحديث في لفظه ومعناه، متشابه في الحسن والائتلاف، وعدم الاختلاف بوجه من الوجوه، حتى إنّه كلّما تدبّره المتدبر، وتفكّر فيه المتفكر، رأى من اتفاقه، حتى في معانيه الغامضة ما يبهرُ الناظرين، ويجزم بأنّه لا يصدر إلا من حكيم عليم[(58)].

وقد سُمّي القرانُ حديثاً في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى، منها: قوله تعالى: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ *} [الأعراف: 185]. وقوله تعالى:{فَلَعَلَّكَبَاخِعٌنَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا *} [الكهف: 6]. وقوله تعالى: {أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ *} [النجم: 59]. وقوله تعالى: {فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ} [القلم: 44].

وكون القران العظيم أحسن الحديث على الإطلاق، وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله تعالى، من حيث فصاحة ألفاظه ووضوحها، وجلالة معانيه وكثرتها ونفعها؛ دلّ ذلك على عظمته، وعلوّ شأنه ورفعته[(59)].

* * *

المبحث الرابع

صفاتُ القران الكريم

ذكر المولى عز وجل أوصافاً عديدة للقران الكريم، منها:

1 . الحكيم:

وصف الله تبارك وتعالى كتابه بأنّه حكيمٌ في عدة ايات، منها: قوله تعالى: {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ *} [يونس: 1]. وقال تعالى: {يس *وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ *} [يس: 1 . 2]. فهذا قَسَمٌ من الله تعالى بالقران الحكيم، وقد وصفه بالحكمة، وهي وضعُ كلِّ شيء في موضعه اللائق به.

والقرانُ الحكيمُ يخاطبُ كلَّ أحدٍ بما يناسبه ويؤثر فيه كائناً مَنْ كان، وهذا من مقتضيات أنْ يكونَ حكيماً.

والقرانُ الحكيم يُربي أيضاً بحكمة، وفق منهج عقلي ونفسي مستقيم، منهج يوجه طاقات البشر إلى الوجه الصالح القويم، ويقرر للحياة كذلك نظاماً يسمحُ بكلّ نشاطٍ بشري في حدود ذلك المنهج الحكيم[(60)].

ومن إحكام ايات القران الحكيم:

ـخ أنها جاءت بأجلِّ الألفاظ وأوضحها، وأبينها، الدّالةِ على أجلّ المعاني وأحسنها.

ـخ أنها محفوظةٌ من التّغيير والتبديل، والزيادة والنقص والتحريف.

ـخ أنّ جميعَ ما فيها من الأخبار السابقة واللاحقة، والأمور الغيبية كلّها مطابقة للواقع، مطابق لها الواقع، لم يخالفها كتاب من الكتب الإلهية، ولم يخبر

ـخ منيع من الشيطان لا يجدُ إليه سبيلاً، ولا يستطيع أن يغيره، أو يزيد فيه أو ينقص منه.

ـخ كريم على الله، وعزيز على الله، وعزيز من عند الله.

ـخ عديمُ النظير، منيعٌ من الباطل، ومن كل من أراده بتحريف أو سوء.

ـخ يمتنع على الناس أن يقولوا مثله فهو غالبٌ وقاهرٌ، والمتأمل في هذه الأقوال يجدها جميعاً تنطبق على وصفاً {عَزِيزٌ *}، وهي من اختلاف التنوع لا التضاد، تدل على عظمة القران، وعزته، وعلو شأنه، ورفعته.

فنحمد الله العزيز الذي أنزل كتاباً عزيزاً: {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ *} [فصلت: 41] على نبي عزيز {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} [التوبة: 128]. لأمة عزيزة {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: 8][(61)].

3 . الكريم:

قال تعالى: {فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ *وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ *إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ *} [الواقعة: 75 . 77].

والكريم: اسمٌ جامع لما يحمد، وذلك أنّ فيه البيان والهدى والحكمة، وهو مُعظّم عند الله عز وجل[(62)].

4 . المجيد:

قال تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ *فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ *} [البروج: 21 . 22].

وقال تعالى: {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ *} [ق: 1].

والمعنى: إن هذا القرانَ . الذي كذّبوا به . شريفُ الرّتبةِ في نظمه وأسلوبه حتى بلغ حدّ الإعجاز، متناه في الشرف والكرم والبركة، وليس هو كما يقولون: إنّه شِعْرٌ وكهانة وسِحْرٌ، وإنما هو كلام الله المصون عن التغيير والتحريف، المكتوب في اللوح المحفوظ[(63)].

5 . العظيم:

لقد نوّه الله تبارك وتعالى بعظمة القران، فقال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ *لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ *} [الحجر: 87 . 88].

يقول تعالى لنبيه (ص): كما اتيناك القرانَ العظيم فلا تنظرنَّ إلى الدنيا وزينتها وما متعنا به أهلها، استغنِ بما اتاك الله من القران العظيم، عمّا فيه من المتاع والزهرة الفانية[(64)]، فالقرانُ هو النعمة العُظمى التي كل نعمة، وإن عظمت، فهي بالنسبة إليها حقيرةٌ ضئيلةٌ، فعليك أن تستغني به[(65)].

6 . البشير والنذير:

قال الله تعالى في وصف القران العظيم: {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ *بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ *} [فصلت: 3 . 4]. فهذا وصف للقران العظيم أنه: يبشر من امن بالجنة، وينذر من كفر بالنار[(66)].

7 . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه:

قال تعالى: {لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ} [فصلت: 42].

فالله عز وجل لم يجعل للباطل مدخلاً على هذا الكتاب العزيز، وأنّى له أن يدخل عليه وهو صادر من الله الحق العظيم؟!

قال تعالى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا *} النساء: 82].

وقال تعالى: {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ *} [يونس: 37] [(67)].

* * *

الفصل الثاني

خصائص القران الكريم

أولاً . القران الكريم كتاب إلهي

ثانياً . القران الكريم كتاب محفوظ

ثالثاً . القران الكريم كتاب معجز

رابعاً . القران الكريم كتاب مبين وميسَّر

خامساً . القران الكريم كتاب هداية

سادساً . القران الكريم كتاب الإنسانية كلها

سابعاً . القران الكريم كتاب الزمن كله

ثامناً . القران الكريم نزل بأرقى اللغات وأجمعها

تاسعاً . القران الكريم مصدّق لكتب الله السابقة ومهيمنٌ عليها

الفصل الثاني

خصائص القران الكريم

خصائصُ القرانِ الكريم كثيرةٌ، منها:

أولاً . القران الكريم كتاب إلهي:

أولى خصائص القران الكريم، أنّه كتابُ الله تعالى؛ الذي يتضمّنُ كلماته إلى خاتم رسله وأنبيائه محمد (ص)، فهو إلهيُّ المصدر: لفظاً ومعنًى، أوحاه الله إلى رسوله ونبيه محمد (ص) عن طريق الوحي الجلي، وهو نزول «الرسول الملكي» جبريل عليه السلام على «الرسول البشري» محمد (ص)، وليس عن طرق الوحي الأخرى من الإلهام أو النفث في الرّوع، ومن الرؤيا الصادقة أو غيرها.

قال تعالى: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ *} [هود: 1].

وقال سبحانه يخاطب رسوله (ص): {وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ *} [النمل: 6].

وقال تعالى: {وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا *} [الإسراء 105].

وقد اقتضت حكمةُ الله تعالى أنْ ينزّله منجماً وفقاً للحوادث؛ ليكونَ أرسخَ في مواجهة المحن والشدائد التي تنزل به وبأصحابه، كما قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً *وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا *} [الفرقان: 32 . 33].

وحكمة أخرى، وهي أنْ يقرأه الرسول الكريم على المؤمنين به على مهل، وحيث يستوعبونه حفظاً وفهماً وعملاً، كما قال الله عز وجل:

{عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً *} [الإسراء: 106]. ولكن القران عند الله تعالى كتاب معلوم أوله واخره، مسجَّلٌ في أم الكتاب، أو اللوح المحفوظ، أو الكتاب المكنون، كما صرّحَ بذلك

القران نفسه: {حم *وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ *إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ *}[الزخرف: 1 . 4].

وقال تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ *فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ *} [البروج: 21 . 22].

وقال تعالى: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ *فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ *لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ *تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ *} [الواقعة: 77 . 80].

وأيُّ قارأئ للقران . له عقلٌ وحِسٌّ . يستيقن أنّه ليس كلام بشر، وأنّه متميز عن كلام الرسول (ص)؛ الذي يتمثّل في الحديث النبوي، وإن كان في ذروة البلاغة البشرية، وإنّ وجودَ اية قرانية ضمن حديث نبوي، يجعل لها نوراً خاصاً يحسّ به مَنْ يقرؤها أو يسمعها، ويشعر أنّها ليست من جنس ما قبلها وما بعدها[(68)].

ومن روائع ما قال الإمام ابن القيم عن «الخطاب القراني» قوله في كتابه «التبيان في أقسام القران»: تأمّل في خطاب القران تجد ملكاً له الملك كله، وله الحَمْدُ كله، أزمّةُ الأمور كلّها بيده، ومصدرُها منه، ومورِدُها إليه، مستوياً على العرش، لا تخفى عليه خافيةٌ من أقطار مملكته، عالماً بما في نفوس عبيده، مطّلعاً على أسرارهم وعلانيتهم، منفرداً بتدبير المملكة، يسمع ويرى، يعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقدر ويقضي ويدبر، الأمور نازلة من عنده دقيقها وجليلها، وصاعدة إليه، لا تتحرك ذرةٌ إلا بإذنه، ولا تسقط ورقةٌ إلاّ بعلمه، فتأمل كيف تجده يثني على نفسه، ويمجّد نفسه، ويحمد نفسه، وينصحُ عباده، ويدلّهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم، ويرغّبهم فيه، ويحذّرهم ممّا فيه هلاكُهم، ويتعرّف إليهم بأسمائه وصفاته، ويتحبّب إليهم بنعمه والائه، يذكرهم بنعمه عليهم، ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها، ويحذّرهم من نقمه، ويذكرهم بما أعدّ لهم من الكرامة

إن أطاعوه، وما أعدّ لهم من العقوبةِ إن عصوه، ويخبرهم بصنعه في أوليائه وأعدائه، وكيف كانت عاقبةُ هؤلاء وهؤلاء، ويثني على أوليائه لصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم، ويذمّ أعداءه بسيّأى أعمالهم، وقبيحِ صفاتهم، ويضرب الأمثال، وينوع الأدلة والبراهين، ويجيبُ على شبه أعدائه أحسن الأجوبة، ويصدق الصادق، ويكذب الكاذب، ويقول الحق ويهدي السبيل، ويدعو إلى دار السلام، ويذكر أوصافهم وحسنها ونعيمها، ويحذّر من دار البوار، ويذكر عذابها وقبحها والامها، ويذكّر عباده بفقرهم إليه، وشدّة حاجتهم إليه من كل وجه، وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة عين، ويذكرهم

بغناه عنهم وعن جميع الموجودات، وأنه الغني بنفسه عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه[(69)].

ثانياً ـ القران الكريم كتاب محفوظ:

ومن خصائص القران أنّه كتابٌ محفوظ، تولّى الله تعالى حفظه بنفسِه، ولم يكل حفظه إلى أحدٍ، كما فعل مع الكتب المقدسة الأخرى[(70)].

وقد نوّه الله سبحانه بعظمة القران بذكر حفظه قبل نزوله في ايات، منها:

قوله تعالى: {كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ *فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ *فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ *مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ *بِأَيْدِي سَفَرَةٍ *كِرَامٍ بَرَرَةٍ *} [عبس: 11 ـ 16].

وأمّا حفظ الله تعالى للقران أثناء نزوله؛ فيدل عليه قوله تعالى: {وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ} [الإسراء: 105].

وأمّا حفظ الله تعالى للقران بعد نزوله؛ فيدل عليه قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ *} [الحجر: 9].

والصيغةُ تدلُّ على التأكيد من عِدّة أوجهٍ يعرفها دارسو العربية، منها: اسمية الجملة، وتأكيدها بحرف إن، ودخول اللام المؤكدة على الخبر

حِماه، وكل محاولة لتغيير حرف منه مقضيٌّ عليها بالفشل، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ *لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ *} [فصلت: 41 ـ 42].

وقد هيأ الله تبارك وتعالى للقران العظيم ظروفاً تختلِفُ عن الكتب السابقة فحفظه دونها، ومن ذلك:

1. هيّأ أمة قوية في ذاكرتها وحافظتها، ذلك أنَّ العربَ الأوائل في جاهليتهم كانوا متمكنين من ذلك، حيث يَرْوُون ألوفاً من أبيات الشعر من غير تدوين، إنما يعتمدون في ذلك على الحفظ.

2. هيّأ للقران العظيم سهولةَ الحفظِ، قال تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ *} [القمر: 17].

3. هيّأ له أمة مستقرة ممكنة في الحفظ والفهم، والأمانة، فكان الحفاظ يحفظونه على يدي رسول الله (ص) حتى يُتقِنُوا الحفظ، ثم يُدوّنونه بعد ذلك، ويقف عليهم بنفسه في مراجعة ذلك.

4. هيّأ له مراجعة النبيِّ (ص) له في الملأ الأعلى، حيث كان يحفظُ ما يوحي إليه، ثم يُراجعه على جبريل عليه السلام مرةً كل سنة، وفي السنة الأخيرة من حياته المباركة راجع جبريلُ القرانَ كله على رسول الله (ص) مرتين.

5. بعد الفراغ من تدوينه لم يَعُدْ هناك مجالٌ لعبثِ عابثٍ، وظلَّ الحفّاظُ المتقنون يُراجعون كلَّ نسخةٍ تكتب من المصحف مراجعةً فاحصةً، ولما أصبح للمصحف مطابع خاصة، كُونت لجان متخصصة ومتأهلة من كبار حُفاظ العالم الإسلامي، تُراجع وتُدقق كلّ حرف منه قبل أن تأذن بطبعه.

وبهذه الوسائل تحقّق للقران العظيم ذلك الحفظُ الذي قدّره الله له منذ الأزل، وهو اللوح المحفوظ، وأنجز وعده الصادق: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ *} [الحجر: 9][(71)].

وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة، وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى[(72)].

ثالثاً. القران الكريم كتاب معجز:

ومن خصائص القران الكريم: الإعجازُ، فهو المعجزةُ الكبرى لمحمّد (ص)؛ التي لم يتحدّ العربَ بغيرها، برغم ما ظهر على يديه من معجزات لا تحصى[(73)].

1. تعريف المعجزة:

أمرٌ خارقٌ للعادة، مقرونٌ بالتحدّي، سالمٌ من المعارضة، يظهِرُه اللهُ على يد رسله[(74)].

2. شروط المعجزة:

ومن خلال التعريف السابق للمعجزة نستطيعُ أن نتلمس شروطها:

أ. أن تكون من الأمور الخارقة للعادة: مثل عدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وعدم إغراق الماء لموسى عليه السلام وقومه، وعدم سيلانه عليهم، ومثل القران الكريم.

ب. أن يكون الخارقُ من صنع الله وإنجازه، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ *} [غافر: 78].

ج. سلامتها من المعارضة.

د. أن تقع على مقتضى قول من يدّعيها.

هـ التحدي بها.

و . أن يستشهد بها مدّعي الرسالة على الله عز وجل.

ز . تأخر الأمر المعجز عن دعوى الرسالة[(75)].

وقد توافرت هذه الشروط في إعجاز القران.

3. القران الكريم هو المعجزة العظمى:

لما زعم المشركون أنّ محمداً (ص) هو الذي ألّف القران، قال الله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لاَ يُؤْمِنُونَ *فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ *أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ *} [الطور: 33 . 35].

ثم تحداهم بعشر سور: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ *} [هود: 13 . 14].

ثم تحدّاهم بسورة واحدة: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ *} البقرة: 23 . 24].

وقال تعالى أيضاً: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *} [يونس: 38].

فعجزَ جميعُ الخلق أن يعارضوا ما جاء به، ثم سجَّل على الخلق جميعاً العجزَ إلى يوم القيامة بقوله تعالى: {قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا *} [الإسراء: 88].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيُّ (ص): «ما من الأنبياءِ نبيٌّ إلا أُعطِيَ من الاياتِ ما مِثْلُه امنَ عليه البَشَرُ، وإنّما كان الذي أوتيتُه وحياً أوحاه اللهُ إليَّ، فأرجو أَنْ أكونَ أكثرَهم تابعاً يوم القيامة»[(76)].

إنَّ معجزاتِ الأنبياء تتماثلُ من حيث إنّها حسية ومخصوصة بزمنها، أو بمن حضرها، أو منقرضة بانقراض من شاهدها.

أمّا معجزةُ نبينا محمد (ص) فهي القرانُ الكريمُ، الذي لم يعطَ أحدٌ مثله، وهو أفيدُها وأدومُها، لاشتماله على الدعوة والحجة، واستمرار تحديه في أسلوبه وبلاغته ومعانيه وأخباره، وعجز الجنُّ والإنس عَنْ أن يأتوا بسورةٍ مثله مجتمعين أو متفرّقين في جميع الأعصار، مع اعتناء معارضيه بمعارضته فلم ولن يقدروا، فعمَّ نفعه مَنْ حضرَ ومَنْ غاب، ومن وُجِدَ ومن سيوجَدُ إلى اخر الدهر، ولذلك فإنَّ محمّداً (ص) أكثرُ الأنبياء أتباعاً[(77)].

هذا شرحٌ للحديث على وجه الإجمال، وأمّا أسباب اختصاص نبينا محمد (ص) عن سائر الأنبياء بهذه المعجزة الظاهرة، فيبيّنها محمود الألوسي فيقول: لثلاثة أسباب صار بها من أخصِّ إعجازه، وأظهر اياته:

1. إنّ معجِزَ كل رسولٍ موافِقٌ للأغلب من أحوال عصره، والشائع المنتشر من ناس دهره، فلمّا بُعِثَ نبينا محمّد (ص) في عصر الفصاحةِ والبلاغة خُصَّ بالقران في إيجازه وإعجازه، بما عَجَزَ عنه الفصحاءُ، وأذعن له البلغاءُ، وتبلّد فيه الشعراء، ليكونَ العجزُ عنه أقهر، والتقصيرُ فيه أظهر، فصارت معجزاته . وإن اختلفت . متشاكلة المعاني، مختلفة العلل.

2. إنّ المعجزةَ في كلِّ يوم بحسب أفهامهم، وعلى قدر عقولهم وأذهانهم.. والعربُ أصحُّ الناس أفهاماً، وأحدّهم أذهاناً، فخصّوا من معجزات القران بما تحول فيه أفهامهم، وتصل إليه أذهانهم[(78)].

3. وهذه المعجزةُ جمعت بين الدليل لما فيه من الإعجاز وغيره من وجوه الدلالة، وبين المدلول بما فيه من بيان الإيمان وأدلته، وبيان الأحكام الشرعية والقصص والأمثال، والوعد والوعيد، وغير ذلك من علومه التي لا تَنْحَصِرُ، ثم جعل مع حفظه وتلاوته من أفضل الأعمال التي يُتقرّب بها إلى الله تعالى .. ولهذا توفّرت الدواعي على حفظه على مرّ الدهور والأعصار، ففي كل قرن ترى مِنْ حفظتِه ما يفوتُ العدَّ والإحصاء، ويستنفد نجوم السماء، ومثل ذلك لم يتفق لغيره من الكتب الإلهية المقدسة[(79)].

وفي قوله (ص): «فأرجو أنْ أكونَ أكثرَهم تابعاً» ايةٌ من ايات نبوته، كما قال النووي: فإنّه أخبر (ص) بهذا في زمن قلة من المسلمين، ثم منَّ الله تعالى وفتح على المسلمين البلاد، وبارك فيهم، حتى

انتهى الأمر، واتسع الإسلام في المسلمين إلى هذه الغاية المعروفة، ولله الحمدُ على هذه النعمة وسائر نعمه التي لا تحصى[(80)].

توضيح هذا الإعجاز:

. بيان حال محمد (ص):

إن وضعه (ص) من الناحية العلمية معروفٌ عند المشركين، فهو:

أ . بشر مثلهم، وليس من جنس اخر.

ب . أميٌّ، لا يقرأ ولا يكتب.

ج . تجاوزَ الأربعين، ولم يكن معروفاً قبلَ ذلك بالخطابة، ولا بالشعر، ولا بالرئاسة في مجالِ الكلام، بل كان يعملُ بمجالٍ بعيدٍ عن الكلمة، وهو التجارة، ولم يُحفظ عنه قبلَ البعثةِ أثرٌ يدل على إنشائه لقصيدة، أو حتى خطبة نثرية.

د . أنّه (ص) أتى بكتابٍ نسبه إلى الله، أجمعَ العربُ على فصاحته وبلاغته وحسن نظمه، واشتماله على علوم شتى، واداب تترى.

ـخ وقوع التحدي بهذا الكتاب:

أ . إن هذا التحدي قائم في وجه كلِّ معارض للرسول (ص).

ب . التحدي بأن يأتوا بسورةٍ من مثله.

ج . وللمعارض أن يستعينَ بمن شاء من أعوانٍ وشهداءَ سواء كانوا من الجن، أو من الإنس، أو من الجن والإنس مجتمعين معاً.

ـخ وجود دواعي التحدي:

أ . العرب أهل فصاحةٍ وبلاغةٍ وبيانٍ.

ب . إن معارضي الرسول (ص) أهلُ عداوةٍ عظيمةٍ له.

ج . وهم حريصون أشدَّ الحرص على إبطال دعوته بأيِّ وسيلة، ومن أيِّ طريق.

ـخ نتيجةُ التحدّي صدقُ نبوّة محمد (ص)، لأنهم: عجزوا غاية العجز عن الإتيانِ بسورة من مثله، ولو كان عندهم أدنى تأهل وتمكن لفعلوا، ولكنّهم لم يقدروا، إذ كلامُ الفقير الناقص الجاهل لا يكون أبداً مثل كلام الذي له الكمالُ المطلق، والغنى المطلق، والقدرة المطلقة، والعلم المطلق، فكما

أنّ الله ليسَ كمثله شيءٌ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فبالضرورة ليس لكلامه مثيلٌ ولا شبيهٌ، ولا يشتبه كلامه بكلام المخلوقين إلا على من اختلّ عقله، وغابَ فؤاده، وهذا برهانٌ ساطعٌ ودليل قاطعٌ على صحة ما جاء به (ص)، ويبقى على مَنْ عجزَ عن هذا التحدي قراران لا مفرَّ من اتخاذ أحدهما:

1. إمّا أن يؤمن بأنّ محمّداً (ص) رسولٌ من الله، وأنَّ القرانَ حقٌّ كلامُ اللهِ، وهذا هو مقتضى العقل، وسبيلُ الفطرة السليمة، وطريقُ الناجين في الدنيا والاخرة.

2. وإمّا أن يعانِدَ، وهو يعلمُ من نفسه أنَّ القران حقٌّ، وهذا سبيلُ الجاحدين، ومقتضى الجهل والعناد، وأصحاب النفوس المريضة؛ والقلوب السقيمة؛ وطريق الخاسرين في الدنيا والاخرة.

وقد كان هذا التحدي سبباً في إسلام الكثيرين؛ لأنَّ القران بهذه الاستثارة للعقول والألباب والقلوب يدعو للتفكر في القران بشكل أكبر، ويجعل الإنسان الشاك يتدبَّر أكثر وأكثر، حتى يصلَ إلى النهاية المحمودة إذا كان ممن يبحث عن الحق متجرّداً من الهوى[(81)].

4. وجوه إعجاز القران:

قد كتب العلماءُ البلغاءُ قديماً وحديثاً حول «إعجاز القران» ووجوهِ هذا الإعجاز، وألّفت في ذلك كتب شتى، فمنهم من عُنِيَ بإخباره بالغيوب، ومنهم

من عُنِيَ بالنظم والعبارة والأسلوب، أو ما يسمى «الإعجاز البياني»، وقد كتب فيه القدماء مثل الباقلاّني، والرُّماني، والخطّابي، والجُرجاني، والفخر الرّازي، وغيرهم، وكتب فيه المحدثون، مثل: مصطفى صادق الرافعي، وسيد قطب في كتابه «التصوير الفني في القران» ومثله «مشاهد القيامة في القران» وطبقه في تفسيره «في ظلال القران»، وكتاب الدكتور بدوي طبانة «بلاغة القران»، والدكتور محمد عبد الله دراز «النبأ العظيم»، ومنهم من عُنِيَ بالإعجاز التشريعي أو الإصلاحي الذي جاء به القران، كما فعل الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه «الوحي المحمدي» حيث جدّد التحدي بالقران، وبيّن المقاصدَ التي جاء القران ليحققها في الحياة، وأنّه يستحيلُ أن يأتيَ بها رجلٌ أمي في أمة أمية، وقد فاقت كل ما جاء به الفلاسفة والمصلحون، ومثل ذلك: المقالات التي كتبها العلامة محمد أبو زهرة في مجلة «المسلمون» الشهرية المصرية، تحت عنوان: «شريعةُ القرانِ دليلٌ على أنّه من الله»[(82)].

وفي عصرنا ظهر نوعٌ جديدٌ أطلق عليه الإعجاز العلمي، ويقصد به: ما تضمنه القران من إشارات ودلالات على حقائق علمية كانت مجهولةً للناس في وقت نزول القران، وتعتبر سابقة لعصرها، ولا تتصوّر أن تصدرَ من رسول أمي في بيئة أمية، وفي عالَمٍ لا يعرف عن هذه الحقائق شيئاً[(83)]، واشتهر في هذا الميدان كل من الشيخ عبد المجيد الزنداني والدكتور زغلول راغب محمد النجار.

وقد لخّص الدكتور زغلول النجار جوانبَ الإعجاز القراني فقال: وتتعدّد جوانبُ الإعجاز القراني: بمعنى عجز البشر عن الإتيان بشيء مثله بتعدد الزوايا؛ التي ينظر منها إنسان محايد إلى كتاب الله، ومن هذه الجوانب:

. الإعجاز اللغوي، الأدبي، البياني، البلاغي، النظمي، اللفظي، والدلالي.

. الإعجاز العقدي «الاعتقادي».

. الإعجاز التعبدي «العبادي».

. الإعجاز الأخلاقي.

. الإعجاز التشريعي.

. الإعجاز التاريخي.

. الإعجاز التربوي.

. الإعجاز النفسي.

. الإعجاز الاقتصادي.

. الإعجاز الإداري.

. الإعجاز التنبؤي.

. الإعجاز العلمي.

. إعجاز التحدي للإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بشيء من مثله في أسلوبه، أو مضمونه أو محتواه، دون أن يتمكن أحد من ذلك[(84)].

رابعاً . القران كتابٌ مبيَّنٌ وميسَّرٌ:

ومن خصائص القران: أنّه «كتابٌ مبيَّنٌ» ميسَّرُ الفهم والذكر، ومع السمو البلاغي والبياني للقران الكريم، فإنه سلسلٌ كالماء العذب الزُّلاَل، ميسَّرٌ لكل من يريدُ أن يعقل ويذكر، قال تعالى: {وَلَقَدْ

يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ *} [القمر: 17]. وقال تعالى: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا *}
[مريم: 97].

لقد نوّه الله تعالى بشأن القران العظيم، وأخبر أنّه يسّره وسهله ليتذكّر الخلقُ ما يحتاجونه من التذكير، ممّا هو هدًى لهم، وإرشادٌ لمصالحهم الشرعية.

وسبب تيسيره: أنّه نزل بأفصحِ اللغاتِ وأبينها، وجاءَ على لسانِ أفضل الرسل (ص).

ومعنى تيسيره: يرجعُ إلى تيسير ما يُرادُ منه، وهو فهم السامع المعانيَ التي عناها المتكلّم به، من دون كلفة على هذا السامع ولا إغلاق[(85)].

وهذا الكتاب مبينٌ لأنَّ الله أنزله لتُعْقَلَ معانيه، وتُفْقَهَ أحكامُه، وتدرَك أسرارُه، وتتدبر اياته، فهو مبين لا غامض ولا مغلق ولا ملغز ولا معقد. قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ *} [يوسف: 2]. قال تعالى: {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ *} [فصلت: 3].

وقد وصف الله هذا القران بأنه: {نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ *} [المائدة: 15]. وقال تعالى: {هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: 185]. وقال تعالى: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ} [النحل: 64]. إلى غير ذلك من الايات التي استفاضت في هذا المعنى[(86)].

خامساً. القران الكريم كتاب هداية:

ومن خصائص القران الكريم أنّه كتابُ هدايةٍ للعالمين، أنزله الله ليُخْرِجَ الناسَ من الظلمات إلى النور.

1. قال تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *} [البقرة: 257].

2. وقال تعالى: {الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ *} [إبراهيم: 1].

وقد تحقق هذا حينما اهتدى العربُ بهداه، فخرجوا من الظلمات إلى النور، ومن التخلّف إلى قمة الحضارة والمدنية، ومن الذل والتبعية إلى السيادة والعالمية، ثم أوصلوا هدايته إلى العالم مِنْ حولهم

بأمانةٍ وتضحيةٍ وإخلاصٍ، فإذا بالعالم يُكسَى بحلّة العزة والرِّفعة والبهاءِ والجمال، وأثبتَ واقعُ المسلمينَ عبرَ الزمن أنهم أصبحوا بتمسّكهم بالقران أرقى الأمم، وبتخلّفهم عنه، وأخذهم بما عند الأمم من ضلال أخس الأمم [(87)].

3 . وقال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا *} [الإسراء: 9].

يؤكّد الله أنّ هذا القرانَ أقومُ من أيِّ هدايةٍ يراها البشر، ولم يستطع أيُّ باحث موضوعي أن يجدَ خللاً في تشريع القران، أو أن يجدَ في التشريع الوضعي ما يصل إلى تشريع القران فضلاً عن أن يتفوّق عليه، وهذا يوجِبُ على العاقل استدامة القران، وملازمة العمل به.

إنّ ما في القران من هداية وتشريع صالحٌ لكلّ زمان ومكان لا تَبْطُلُ قيمه، بل لا يَصْلُحُ إلا هو، مهما اختلفت العصور، وتنوعت الحضارات، إنّه تسامى على كل قانون عرفته الأممُ قديماً وحديثاً، حتى أقرت المجامع القانونية الدولية الفقه الإسلامي مصدراً أساسياً تُقْتَبَسُ منه القوانين، وإنّ القوانين الحديثة في تطورها تتسامى لتقترب من تشريع القران[(88)].

وكيف لا يكونُ كذلك، وهو تشريعٌ ربانيٌّ شاملٌ لجميع النواحي، وكافلٌ لإحقاق الحق، وصيانة مصالح الناس في جميع شؤونهم: المالية والاجتماعية والأسرية والدولية، في حين أنه لم يوجدْ إلى الان تشريع شامل أو عادل مع ما مرّ على الإنسانية من تجارب وخبراتٍ، حتى إن الله تحدّى العالمَ أن يأتوا بمثل القران، والمثلية تشمل جميعَ جوانب القران سواء الألفاظ والمعاني، وإذا عجزوا عما هو من جنس ما يستطيعونه، ويتفوقون فيه، وهو نظم القران، فهم أشدُّ عجزاً عن تشريع القران وهدايته، لما يحتاجه إلى علم محيط بكل شيء، وليس هذا إلا الله عز وجل[(89)].

4 . وقال تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ *} [المائدة: 50].

استنكر الله تعالى على من أعرض عن تشريعه، ولجأ إلى تشريع الناس، وما هذا إلا لأنه لا تشريع أحسن منه، ولا هداية مثله، فكيف يترك إلى ما دونه[(90)]؟

ينكر الله تعالى على مَنْ خرجَ عن حكم الله {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ}، المشتمل على كل خير، الناهي عن كلِّ شرّ، وعدل إلى ما سواه من الاراء والأهواء والاصطلاحات؛ التي وضعها الرجال بلا

مستند من شريعة الله، كما كان أهلُ الجاهلية يحكمون به الضلالات والجهالات بما يضعونها بارائهم وأهوائهم. {وَمَنْ} أي: ومَنْ أعدلُ من الله في {أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ *}، لمن عقل عن الله شرعه، وامن به وأيقن، وعلم أنَّ الله أحكمُ الحاكمين، وأرحمُ بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء[(91)].

5 . قال الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً} [المائدة: 3]. يحثّنا الله تعالى في هذه الاية على التمسّك بهديه من خلال مدحه دينه بالكمال والتمام، والنفوس تتطلّع إلى ما كان كذلك[(92)].

هذه أكبرُ نعم الله تعالى عن هذه الأمة، حيث أكملَ تعالى لهم دينَهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبيّ غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلالَ إلاّ ما أحله، ولا حرام إلاّ ما حرّمه، ولا دينَ إلاّ ما شرعه، وكلّ شيءٍ أخبرَ به فهو حقٌّ وصدقٌ لا كذب فيه ولا خلف... فلمّا أكملَ لهم الدينَ، تمّت عليهم النعمة، ولهذا قال تعالى: أي: فأرضوه أنتم {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً}، فإنّه الدين الذي أحبه الله ورضيه، وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرفَ كتبه[(93)].

وكمالُ دينه سبحانه وتمامه بكمال مصدره الأصل القران الكريم؛ ولهذا لا يملك من يتلو القران، ويتدبر معانيه إلا أن يخرّ ساجداً لعظمة منزله. قال تعالى: {لَوْ أَنْزَلْنَا} {هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ *}[الحشر: 21].

سادساً . القران الكريم كتاب الإنسانية كلها:

ومن خصائص القران الكريم أنّه كتابُ الإنسانيةِ كلِّها؛ الذي خاطب الله تعالى به جميعَ البشر إلى يوم القيامة، فلم يُقيّد بزمان، ولا بمكان، ولا جنس ولا طبقة، بل هو موجَّهٌ إلى الثقلين، خاطبهم جميعاً بما يسعدهم في الدنيا والاخرة من العقائد الصحيحة، والعبادات الحكيمة، والأحكام الرفيعة، والأخلاق الفاضلة؛ التي تستقيم بها حياتهم.

ولقد تضافرت نصوصُ الكتاب والسنة وإجماعُ الأمة على عالمية القران[(94)].

ومن الايات التي صرحت بعالمية القران العظيم قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا *} [الفرقان: 1]. وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ *} [الأنبياء:107]. وقال تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا *} [الإسراء: 89]. وقال تعالى: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ *} [الزمر: 27]. وقال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ *} [الزمر: 41].

فالقران لا يخاطِبُ صنفاً واحداً من البشر له تجاه عقلي أو نفسي معين، مغفلاً عن عداه من الأصناف ذوي الاتجاهات المتعددة، كلا، إنه يخاطِبُ كل الأصناف، ويشبعُ كلَّ الاتجاهات الإنسانية السوية، في توازنٍ لا يقدر عليه إلا منزل القران، وخالق الإنسان[(95)].

1 . إن طالب الحقيقة العقلية يجدُ في القران ما يرضِي منطقه، ويأخذ بلبه إذا سمعه يصيح بالعقل أن ينظر ويفكر في ملكوتِ السماواتِ والأرض، وما خلق الله من شيء.

ـخ وأن يعتمد على البرهان وحدَه في العقليات. قال تعالى: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *} [البقرة:111].

ـخ وعلى المشاهدة والتجربة في الحسيات، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} [الأعراف: 185].

ـخ وعلى الصدق وتوثيق الرواية في النقليات، قال تعالى: {ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *} [الأحقاف 4].

ويكفي أنَّ مشتقات العقل مثل و ذكرت في القران ثمانياً وخمسين {يَعْقِلُونَ تَعْقِلُونَ *}، وذكرت مشتقات الفكر سبع عشرة مرة، وذكرت كلمة أي: العقول ستّ عشرةَ {الأَلْبَابِ}، وهذا غير الايات التي اشتملت على كلمات ومشتقات أخرَ مثل: «النظر»، و«الاعتبار» و«التدبر» و«الحجة» و«البرهان» و«النهى» و«الحكمة» و«العلم» ونحو ذلك مما يبحث عنه طلاّب الحقائق العقلية، فلا يجدونه في كتاب ديني غير القران.

2. والباحث عن الحقيقة الروحية يجدُ في القران ما يرضي ذوقه، ويغذي وجدانه، ويشبعُ نهمه وتطلعاته في افاق الروح، في مثل قصة موسى والعبد الصالح، الذي قال الله فيه: {فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا *} [الكهف: 65].

يجد الباحثُ عن «الإيمان» في الخطاب القراني ما ينشأئُ الإيمان البصيرَ بالله ورسالاته ولقائه وجزائه، ويطارِدُ الجحود والشك والنفاق، ويقيم الأدلة الناصعة على وجود الله تعالى، وعلى وحدانيته، وعظيم قدرته، وبالغ حكمته، وواسعِ رحمته، وعلى بعثه رسله {مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: 165]. وعلى عدالة الجزاء في الاخرة: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى *} [النجم: 31].

ويجلي له القرانُ مصيرَ المؤمنين نجاةً وحياةً طيبةً في الدنيا، وفلاحاً في الاخرة، ومصيرَ المكذّبين: شقاء في الدنيا، وعذاباً في العقبى.

الإيمان في القران يبني ولا يهدم، ويجمع ولا يفرق، ويسامح ولا يتعصب، فهو يوجب الإيمانَ بكلِّ كتاب أنزل، وبكلِّ نبي أرسل، قال تعالى: {كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ} [البقرة: 285].

3. والحريص على القيم الأخلاقية يجدُ في القران ضالته وطلبته، وإذا كان موضوع الأخلاق هو «الخير» فالقرانُ قد دلَّ على «الخير» كما هدى إلى «الحق» وقد جعلَ فعلَ الخيرِ إحدى شعب ثلاثة لمهمة المجتمع المسلم، قال تعالى: {وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ *} [الحج 77].

ولكنّه لم يكتفِ من المسلم بفعل الخير، بل طلبَ منه أن يدعو إلى الخير، ويدلّ عليه، قال تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ} [آل عمران: 104].

4. وعاشق القيم الجمالية يجد في القران ما ينمّي حاسته الجمالية، ويغذّي شعورَه الفنّي، وذلك بما لفتَ إليه القرانُ الأنظارَ من الاستمتاع بجمال الطبيعة في السماء، {وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ *} [الحجر: 16]. وقال تعالى: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} [الملك: 5]. وجمال الطبيعة في الأرض ابتداء من جمال النبات، قال تعالى: {وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ *} [الحج: 5]. وقال تعالى: {فَأَنْبَتْنَا بِهِحَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ}[النمل: 60]. وجمال الحيوانات {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ *}[النحل: 6]. وجمال الإنسان {وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ}[التغابن: 3]. وجمال المخلوقات كلّها {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}[النمل: 88].

ووراء ذلك كلّه ما احتواه أسلوب القران ذاته من جمال بياني معجز في نظمه ومعناه، وفي شكله ومضمونه، وصفه المشركون أنفسهم فقالوا: إنّ له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنَّ أسفله لمغدِقٌ، وإنّه يعلو ولا يعلى عليه[(96)].

سابعاً ـ القران الكريم كتاب الزمن كله:

من خصائص القران: أنّه كتابُ الزّمن كله، وكتاب الإنسانية كلّها، وكتاب الدِّين كله، وكتاب الحقيقة كلها، ومعنى أنَّ القرانَ كتابُ الزمن كله: أنّه كتابُ

الخلود، ليس كتاب عصر معين، أو كتاب جيل أو أجيال، ثم ينتهي أمده، بل القران هو الكتاب الباقي إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومن عليها، وهو الكتاب الصالح والمصلح لكلِّ زمان ومكان[(97)]، مهما اختلفتِ العصورُ، وتنوّعتِ الحضارات، لا تبطل قيمته، بل لا يصلح إلا هو.

إنّ تعاليمَ القران موجهة للعالم بأسره، فهي للناس كافة في شتى أرجاء العالم، بغضّ النظر عن أصلهم، أنزلت إليهم لتدخل السرور والبهجة إلى قلوبهم، وتطهر نفوسهم، وتهذب أخلاقهم، وتوجّه مجتمعهم، وتستبدل سطوة القوي بالعدل والأخوة. وقد أكدّ الله عز وجل أن في القران حلولاً لجميع قضايا البشر {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ *} [النحل: 89]. فالقرانُ له أعلى حظوة لدى المسلمين، وهو ليس مجرد كتاب صلوات، أو أدعية نبوية، أو غذاء للروح أو تسابيح روحانية فحسب، بل إنّه أيضاً القانون السياسي، وكنز العلوم، ومراة الأجيال، إنّه سلوى الحاضر، وأمل المستقبل[(98)].

ثامناً ـ القران الكريم نزل بأرقى اللغات وأجمعها:

لقد اختار الله عزّ وجلّ اللغة العربية لينزل بها اخر كتبه، وهذا الاختيارُ من الحق عزّ وجلّ لهذه اللغة العظيمة إنما يعود إلى ما تمتاز به من مرونة، واتساع، وقدرة على الاشتقاق، والنحت، والتصريف، وغنًى في المفردات والصيّغ والأوزان[(99)].

فكل دارس للغات العالم يُصرُّ على أنَّ اللغة العربية هي أرقى اللغات، وأجمعها للمعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة، وأحسنها تهذيباً، وأكثرها إيضاحاً وبياناً للمطلوب، ولذلك أشاد القرانُ الكريم بها في عِدّة ايات، منها: قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ *} [الزخرف: 3]. وقوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ *} [يوسف: 2].

لقد أراد الله تعالى أن يكونَ القرانُ كتاباً مخاطباً به كل الأمم في جميع العصور؛ لذلك أنزله بلغةٍ هي أفصحُ كلام بين لغات البشر، وهي اللغة العربية، لأسبابٍ يلوح لي منها: أنَّ تلك اللغة أوفر اللغات مادة، وأقلها حروفاً، وأفصحها لهجة، وأكثرها تصرّفاً في الدلالة على أغراض المتكلّم، وأوفرها ألفاظاً،وجعله جامعاً لأكثر ما يمكن أن تتحمله اللغة العربية في نظم تراكيبها من المعاني، في أقل ما يسمح به نظم تلك اللغة، فكان قوام أساليبه جارياً على أسلوب الإيجاز، فلذلك كثر فيه ما لم يكثر مثله في كلام بلغاء العرب[(100)].

تاسعاً ـ القران الكريم مصدِّقٌ لكتب الله السابقة ومُهيمنٌ عليها:

قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناًعَلَيْهِ}[المائدة: 48]. ومعنى قوله: أنّ القران العظيم رقيبٌ على الكتب السابقة؛ لأنه يشهد بصحتها{وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ}، ويقرر أصولها، وما يتأبّد من فروعها، ويُبيّنُ أحكامها المنسوخة بتعين وقت انتهاء مشروعيتها.

أو على معنى أنّه أمينٌ عليها، فما أخبر عن صدقه مما ورد فيها صُدّق، وما أخبر بزيفه فهو باطلٌ.

أو على معنى أنه الحافظ لها، فهو الذي حفظ ما جاء فيها من التوحيد، وكليات الدين إلى يوم القيامة.

أو على معنى أنه دالّ على صدقها، أي: هو دليل على أنها من عند الله، لأنه جاء كما نعتته هذه الكتب[(101)].

وهذه الأقوال كلّها متقاربة المعنى، فإنّ اسمَ «المهيمن» يتضمّن هذا كله، فهو أمينٌ وشاهدٌ، وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم؛ الذي أنزله اخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأحكمها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها، وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة.

فقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ *} [الحجر: 9].

1 . علاقة الهيمنة بالتصديق:

ولاشك أنّ مفهوم الهيمنة أتمُّ وأشمل من مفهوم التصديق؛ لأنّ الهيمنة لا تقتصر على مجرّد الشهادة لهذه الكتب بصحة إنزال أصولها، وتقرير أصولها وشرائعها، بل تتعدّى ذلك، فتُبين ما اعتراها من نسخ أو تحريف، وما عرض لها من زيف وفساد، فالقران بذلك مهيمن على المعاني الصحيحة التي كانت في تلك الكتب، وشاهد بكونها من عند الله، وبذلك تتلاقى الهيمنة مع التصديق، ولكنّه كذلك يشهد على هذه الكتب بما أصابها من تحريف، وتسرّب إليها من باطل، وبه تنفرد الهيمنةُ عن التصديق، فمفهومُها إذاً أتمّ، وأشمل من مفهوم التصديق[(102)].

2 . مظاهر هيمنة القران على الكتب السابقة:

لهيمنة القران العظيم على كتب الله المنزلة قبله . فوق ما تقدّم من تصديقه لها . مظاهر متعددة، من أهمها ما يلي:

أ . إخباره بتحريف الكتب السابقة وتبديلها:

قال تعالى: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيدِيهِمْ وَوَيلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ *} [البقرة: 79].

ب . بيان المسائل الكبرى التي خالفوا فيها الحق:

ففي جانب العقائد على سبيل المثال نفى القران العظيم ما صرّحت به الأناجيل المحرفة من قتل عيسى عليه السلام، وصلبه، قال تعالى: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} [النساء: 157]. وحكم على النصارى بالكفر لقولهم بالتثليث، وألوهية المسيح، قال تعالى:

{قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *} [المائدة: 72 . 73].

أمّا التوراة المحرّفة فإنها تَنْسِبُ إلى الله تعالى كثيراً من النقائص، والتي جاء القران العظيم بدحضها وإبطالها، فلقد أخبر القرانُ العظيمُ أنّ اليهود نسبوا إلى الله عزّ وجلّ الولد، كما وصف اليهود الله بالفقر، والبخل، وغل اليد، فبين القران الكريم كذبهم، وزورهم، وبهتانهم. قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ *} [التوبة: 30]. وقال تعالى: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ *} [آل

عمران: 181]. وقال تعالى: {وَقَالَتِالْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ}[المائدة: 64][(103)].

ج . بين القران كثيراً من المسائل التي أخفوها:

فمن ذلك: أنّ الدّارسَ لأسفار العهد القديم يرى أنّها: قد خلت من ذكر اليوم الاخر ونعيمه وجحيمه . وإذا كانت اليهوديةُ في أصلها تقرر البعث، والنشور، والحساب، والجنة والنار، كما يُنبأئُ بذلك القران . ذلك يدلُّ على أنّ اليوم الاخر وما فيه وما يتصل به، من المسائل التي أخفاها أهل الكتاب[(104)]. قال تعالى: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ *} [المائدة: 15][(105)].

* * *

الفصل الثالث

مقاصد القران الكريم

أولاً . تصحيح العقائد والتصورات

ثانياً . تزكية النفس الإنسانية

ثالثاً . عبادة الله وتقواه

رابعاً . إقامة العدل بين الناس

خامساً . الشورى

سادساً . الحرية

سابعاً . رفع الحرج

ثامناً . تقريركرامة الإنسان

تاسعاً . تقرير حقوق الإنسان

عاشراً . تكوين الأسرة الصالحة

الحادي عشر . إنصاف المرأة وتحريرها من ظلم الجاهلية

الثاني عشر . بناء الأمة الشهيدة على الناس

الثالث عشر . السماحة

الرابع عشر . الرحمة

الخامس عشر . الوفاء بالعهود والعقود

دعا القران الكريم إلى الكثير من المبادأئ والمقاصد التي لا تصلحُ الإنسانية بغيرها، والتي مِنْ أهمها:

أولاً . تصحيح العقائد والتصورات:

أ . القران العظيم من أوّله إلى اخره دعوةٌ إلى التوحيد، وإنكارٌ للشرك، وبيانٌ لسوء عاقبة المشركين في الدّارين، وقد اعتبر القرانُ الشركَ أعظمَ جريمةٍ يقترفُها مخلوق. قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48]. وإنّ حقيقة الشرك انحطاطٌ بالإنسان من مرتبة السيادة على الكون .كما أراد الله له . إلى مرتبة العبودية والخضوع للمخلوقات، سواء كانت جماداً، أو نباتاً، أو حيواناً، أو إنساناً، إلى غير ذلك. قال الله تعالى: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ *} [الحج: 30 . 31].

والدعوة إلى التوحيد هي المبدأ الأوّل المشترك بين رسالات النبيين جميعاً، فكل نبيٍّ نادى قومه أن {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف: 59]. وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل:36]. وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ *} [الأنبياء: 25].

فلا مكان للوسطاء بين الله عزّ وجلّ وبين خلقه، قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ} [البقرة: 186]. وقال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: 60].

وقد أصلح القرانُ هنا ما أفسدته الديانات الوثنية والكتابية المحرّفة من عقيدة التوحيد، حتى اليهود جعلت الربَّ أشبه بالمخلوقين، فهو يتعب ويندم ويخاف، ويصارعُ إسرائيل، فيصرعه إسرائيلُ، فلا يتمكن من الإفلات منه إلا بوعدٍ منه بمباركة نسله، فأطلق سراحه!!

والنصرانيةُ تأثرت بوثنية روما، وطغت عليها الوثنيةُ حتى امتلأت الكنائسُ

بالصور والتماثيل، وأخذت عقيدةُ التثليث والفداء من عقيدة الهنود في «كرشنة»، كل ما فعلوه أنهم حذفوا اسم كرشنة، ووضعوا اسم «يسوع»[(106)].

ب ـ تصحيح العقيدة في النبوة والرسالة:

وذلك بعدة أساليب:

ـخ بيان الحاجة إلى النبوة والرسالة:

قال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} [البقرة 213]. وقال تعالى: {لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: 165]. وقال تعالى: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ} [النحل: 64].

ـخ بيان وظائف الرسل في التبشير والإنذار:

قال تعالى: {رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ} [النساء: 165]. فليس الرسل الهةً، ولا أبناءَ الهةٍ، إنّما هم بشرٌ يوحى إليهم {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [الكهف: 110]. يملكون أن يدعوا إلى توحيد الله، ولكن لا يملكون هدايةَ القلوب، ولا السيطرةَ عليها {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ *لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ *} [الغاشية: 21 ـ 22].

ـخ تفنيد الشبهات التي أثارها الناس من قديم في وجه الرسل:

كقولهم: {إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا} [إبراهيم: 10]. وقولهم: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنْزَلَ مَلاَئِكَةً} [المؤمنون: 24]. فقد ردّ عليهم القران بمثل قوله تعالى: {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [إبراهيم: 11]. ومثل قوله تعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ فِي

الأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولاً *} [الإسراء: 95][(107)].

ـخ بيان عاقبة الذين صدقوا المرسلين وعاقبة الذين كذبوا المرسلين:

وفي القران الكريم ثروة طائلة من قصص الرسل مع أممهم، تنتهي دائماً

بهلاك المكذبين، ونجاة المؤمنين. قال تعالى: {وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَأَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا *وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا *}[الفرقان: 37 . 39]. وقال تعالى: {ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ *}[يونس: 103].

ج . تثبيت عقيدة الإيمان بالاخرة:

ومما عني به القران، وكرّره في سوره المكية والمدنية الإيمان بالاخرة، وما فيها من جزاء وحساب وجنة ونار، وقد اتخذ القران في تثبيت هذه العقيدة وتصحيحها أساليبَ شتى؛ منها:

ـخ إقامة الأدلة على إمكان البعث ببيان قدرة الله على إعادة الخلق كما بدأهم أول مرة. قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: 27].

ـخ التنبيه على خلق الأجرام العظيمة؛ التي يُعْتَبَرُ خَلْقُ الإنسان بجوارها شيئاً هيناً، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *} [الأحقاف: 33].

ـخ بيان حكمة الله تعالى في الجزاء، حتى لا يستوي المحسن والمسيء، والبر والفاجر، في النهاية تكون الحياة عبثاً وباطلاً يتنزه الله تعالى عنه، قال تعالى: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ *} [ص: 28]. وقال تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ *} [المؤمنون: 115]. وقال تعالى: {أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً *} [القيامة: 36].

ـخ إبطال الأوهام التي أشاعها الشرك والمشركون من أنّ الهتهم المزعومة تشفع لهم عند الله يوم القيامة، وكذلك ما زعمه أهلُ الكتاب من شفاعة القديسين وغيرهم، وهذا ما كذّبه القران، وأبطله أشد الإبطال، فلا شفاعة إلا بإذن الله، ولا شفاعة إلا لمؤمن موحّدٍ، قال تعالى: {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ *} [غافر: 18]. وقال تعالى:{فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ *} [المدثر:

48]. وقال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} [البقرة: 255]. ولا ينفع الإنسانَ إلا سعيُه، ولا يحمل وزر غيره {أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى *وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى *} [النجم: 38 . 39]. وقال تعالى: {وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا *} [الكهف: 49].

ـخ بيان ما ينتظر المؤمنين الأبرار في الاخرة من المثوبة والرضوان، وما أعد للكفرة الفجار من العقاب والخسران، ولهذا كثر حديثُ القران عن القيامة وأهوالها، والكتابِ الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وعن الميزانِ الذي تُوْزَنُ به الحسنات والسيئات حتى لا يضيعَ على الإنسان مثقال حبة من خردل، وعن الحساب الدقيق الذي لا يظلم نفساً شيئاً، ولا يحمّل وازرة وزر أخرى، وعن الجنة وما فيها من ألوان النعيم المادي والروحي، وعن النار وما فيها من صنوف العذاب الأليم الحسي والمعنوي، ذلك لأن إنسان الاخرة هو امتدادٌ لإنسان الدنيا روحاً وجسماً، فلابدَّ أن يشمل الثواب أو العقاب كليهما[(108)].

ثانياً . تزكية النفس البشرية:

ومن مقاصد القران: الدعوةُ إلى تزكية النفس البشرية، فلا فلاحَ في الأولى والاخرة إلا بالتزكية، كما قال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا *فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا *قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا *وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا *} [الشمس: 7 . 10]. فالنفسُ بفطرتها مستعدةٌ للفجور الذي يدنّسها ويدسّيها، استعدادها للتقوى التي تطهرها وتزكيها، وعلى الإنسان بعقله وإرادته أن يختارَ أيَّ الطريقين: طريق التزكية، أو طريق التدسية، ولا ريبَ أنّه إذا اختار طريق التزكية فقد اختار طريقَ الفلاح، قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى *} [الأعلى: 14].

وقال سبحانه فيمن يأتي ربه يوم القيامة: {وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى *جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى *} [طه: 75 . 76].

ورسالاتُ الأنبياء جميعاً كان من مقاصدها: الدعوةُ إلى التزكية، ولهذا رأينا موسى عليه السلام يقول لفرعون حين أُرْسِلَ إليه من ربه: {هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى *} [النازعات: 18 . 19].

وكان من الشُّعَبِ الأساسية لرسالة محمد (ص): التزكيةُ، كما جاء ذلك في

أربع ايات من كتاب الله، منها ما جاء في دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للأمة المسلمة الموعودة قال تعالى: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *} [البقرة: 129]. ومنها قوله عز وجل: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ *} [البقرة: 151]. وقال سبحانه: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىالْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ *}[ال عمران: 164]. وقال تعالى: {هُوَ الّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ *}[الجمعة: 2].

ولا تتم هذه التزكية إلا بفضل من الله وتوفيقه، كما قال تعالى: {وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} [النور: 21].

كما لا بدَّ من جهد الإنسان وجهاده، كما قال تعالى: {وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ *} [فاطر: 18].

وقد بين القران الكريم أثر العبادات في هذه التزكية، كقوله تعالى في أثر الزكاة: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة: 103].

كما بيّن أثرَ الاداب التي حَثَّ عليها القران في هذه التزكية المنشودة للأنفس، قال تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ *} [النور: 30].

وقال في أدب الاستئذان: {وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ} [النور: 28].

إنّ الأمر الذي لا ريبَ فيه أنّ صلاح الأمم والمجتمعات إنما هو بصلاح أفرادها، وصلاحُ الأفراد إنما هو بصلاح أنفسهم التي بين جنوبهم، وبعبارة أخرى بتزكية هذه الأنفس، حتى تنتقل من «النفس الأمارة بالسوء» إلى «النفس اللوامة»، ثم «النفس المطمئنة»، وهذا يحتاج إلى جهاد، لكنه جهاد غير ضائع، كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ *} [العنكبوت: 69] [(109)].

ثالثاً ـ عبادة الله وتقواه:

1 . لقد بين القران أن المهمة الأولى للإنسان أن يقوم بعبادة الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ *} [الذاريات: 56]. فالله تعالى هو خالق الإنسان ورازقه، ومدبر أمره، والمنعم عليه بنعم وفيرة لا يمكن للإنسان إحصاؤها، قال تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا} [إبراهيم: 34].

ومن هذه النعم نعمةُ الإيجاد، ونعمةُ الرزق، ونعمةُ العقل، ونعمةُ الإرادة، ونعمةُ القدرة، ونعمةُ البيان «النطقي» و«الخطي»، ونعمةُ تسخير الكون للإنسان.

وعدّد القرانُ جملاً من هذه النعم الوفيرة السابغة في عددٍ من سور القران، أظهرُها في سورة النحل، التي تسمّى «سورة النعم»، ومن حق الخالق الرازق المنعم أنْ يُشْكَرَ فلا يُكْفَرُ، وأن يُذْكَرَ فلا يُنْسَى، وأن يُطاعَ فلا يُعْصَى، ولا يتأتَّى ذلك إلا بالعبادةِ الخالصةِ له، فالعبادةُ من حقه وحدَه جل وعلا؛ ولذا قال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ *الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ *} [البقرة: 21 . 22].

وعند تأمُّل القران الكريم والسنة النبوية، وما تحويه من أخبار، وأوامر ونواهٍ، ووعد ووعيد، نجدها كلها تدور حول تقرير ألوهية الله سبحانه وتعالى، وعبودية الإنسان له.

فإذا كان خلقُ الإنسان؛ وتسخيرُ الكون له؛ وإيجاد العقل والقلب والإرادة فيه، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وخلق الجنة والنار، وقبل ذلك وبعده ما تقتضيه صفات الباري جلّ وعلا من كونه في ذاته وصفاته وأفعاله حكيماً عليماً، خلق كلَّ شيءٍ وقدره تقديراً، ولم يخلق شيئاً عبثاً، ولم يوجد شيئاً لغير

حكمة. وإذا كان القرانُ المجيدُ وما فيه من أخبار وأوامر ووعد ووعيد جاء لأجل هذه المهمة العظيمة، ألا وهي تعبيد الخلق كلهم لله سبحانه، ولذلك جعل اللهُ دائرةَ العبادةِ التي خلق الله لها الإنسان، وجعلها غايته في الحياة، ومهمته في الأرض، دائرةً رحبةً واسعةً: أن تشمل شؤون الإنسان كلها، وتستوعب حياته جميعاً، وتستغرق جميع مناشطه وأعماله [(110)].

1. عبادة الله تعالى:

فالعبادةُ في مفهوم الإسلام: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداءُ الأمانة، وبر الوالدين، وصلة

الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجهاد الكفّار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتامى والمساكين وابن السبيل والمملوك من الادميين، والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حبُّ الله ورسوله (ص)، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة [(111)].

وبهذا التعريف الجامع لا يمكن أن يخرجَ أي شيء من نشاطات الإنسان وأعماله، سواء إن كان ذلك في العبادة المحضة، أو في المعاملات المشروعة، أو في العادات التي طُبِعَ الإنسان على فعلها[(112)]، ولذلك يحرص المسلمُ أن تكونَ حياتُه كلّها عبادةً من لحظة التكليف إلى الموت، امتثالاً لقول الله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *} [الأنعام: 162].

وهذه العبادات كلها تُعِدُّ المسلمَ لتقوى الله، كما جاء في الاية التي ذكرناها: {اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ *} [البقرة: 21][(113)].

2 . تقوى الله تعالى:

وهي أن يجعلَ العبدُ بينه وبين ربه وقايةً من غضبه وسخطه وعذابه، وهي أن يعملَ بطاعة الله على نور من الله، يرجو ثواب الله، وأن يتركَ معصيةَ اللهِ على نورٍ من اللهِ، يخافُ عقابَ الله [(114)].

وأساسُ تقوى الله خشية الله، وذلك من عمل القلب، ولذا أضافها القران إليه وقال: {ذَلِكَ ومَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ *} [الحج: 32].

ويأمر الله تعالى المؤمنين بالتقوى قبل أوامره سبحانه، لتكون حافزاً له على امتثال ما يأمر به، كما في قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ *} [المائدة: 35]. وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا *يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا *} [الأحزاب: 70 . 71]. وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ *} [التوبة: 119]. وقال تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ *} [الأنفال: 1].

ويذكر الله في القران التقوى أحياناً قبل النواهي، لتكونَ دافعاً للانتهاء عنها، كما في قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ *فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ *} [البقرة: 278 . 279].

بل يقصُّ علينا القران أنّ الرسل جميعاً دعوا أقوامهم إلى تقوى الله، كما نجد في سورة الشعراء نوحاً [108]، وهوداً [126]، وصالحاً [150]، ولوطاً [163]، وشعيباً [179] يقول كل منهم لقومه: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ *}

ولهذا جعل القران وصية الله للأولين والاخرين هي التقوى، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ} [النساء: 131].

ولم يكتف القرانُ من المؤمنين بمجرّد التقوى، بل قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ *} [آل عمران: 102]، ومعناه: بذل الجهد، واستفراغ الوسع في تقواه عزّ وجلّ، في حدود الطاقة والاستطاعة،

كما قال تعالى في الاية الأخرى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: 16]، وليست هذه الايةُ ناسخةً للاية الأخرى، بل مبينةً لها: أنّ تقوى الله حق تقواه إنّما تُطْلَبُ في إطار المقدور للمكلّف، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

والتقوى لا تعني العصمةَ من الذنوب، فالمتّقون ليسوا ملائكةً أطهاراً، ولا أنبياء، بل هم بشر يصيبون ويخطئون، ومزيتهم هي رهافةُ حسهم، ويقظةُ ضمائرهم، كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ *} [الأعراف: 201].

فإذا زلّت قدمُ أحدهم إلى المعصية، فسرعان ما يثوبُ إلى رشده، ويتوب إلى ربه، ويقرع بابَه مستغفراً، كما قال تعالى في وصف المتقين من عباده: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ *} [آل عمران: 135].

ومن تدبر القران وجده قد ربط خيرات الدنيا والاخرة كلها بالتقوى، فمن ثمار التقوى العاجلة والاجلة:

ـخ المخرجُ من كلِّ ضيقٍ، والرزق من حيث لا يَحْتَسِبُ العبد:

قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ} [الطلاق: 2 . 3].

ـخ السهولة واليسرُ في كلِّ أمر:

قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا *} [الطلاق: 4].

ـخ تيسير العلم النافع:

قال تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ *} [البقرة: 282].

ـخ إطلاقُ نور البصيرة:

قال تعالى: {إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً} [الأنفال: 29].

ـخ محبة الله ومحبة ملائكته والقبول في الأرض:

قال تعالى: {بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ *} [آل عمران: 76]. وقال رسول الله (ص): «إذا أحبَّ الله العبد قال لجبريل: قد أحببتُ فلاناً فأحبّه، فيحبُّه جبريلُ عليه السلام، ثم ينادي في أهل السماء: إنَّ الله قد أحبَّ فلاناً فأحبوه، فيحبّه أهلُ السماءِ، ثم يوضعُ له القبولُ في الأرضِ»[(115)].

ـخ نصرة الله عز وجل وتأييده وتسديده:

وهي المعية المقصودة بقول الله عز وجل: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ *} [البقرة: 194].

ـخ البركاتُ من السماء والأرض:

قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ} [الأعراف: 96].

ـخ البشرى وهي الرؤيا الصالحة وثناء الخلق ومحبتهم:

قال تعالى: {أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ *الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ *} {وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}[يونس: 62 ـ 64]. والبشرى في الحياة الدنيا هي ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكانٍ في كتابه، وعن النبيّ (ص): «الرؤيا الصالحةُ من الله»[(116)]، وعن أبي ذر قال: قلتُ لرسول الله (ص): الرجلُ يَعْمَلُ للهِ ويحبُّه الناس، فقال: «تلك عاجِلُ بشرى المؤمن»[(117)].

ـخ الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم:

قال تعالى: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ *} [آل عمران: 120].

ـخ حفظ الذرية الضعاف بعناية الله تعالى:

قال تعالى: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا *} [النساء: 9]. وفي الاية إشارةٌ إلى إرشاد المسلمين الذين

يخشون ترك ذرية ضعافٍ، إلى التقوى في سائر شؤونهم، حتى يحفظَ أبناءَهم، ويدخلوا تحت حفظ الله وعنايته، والايةُ تشعِرُ بالتهديد بضياع أولادهم إن فقدوا تقوى الله، وإشارة إلى أنَّ تقوى الأصول تحفظ الفروع، وأنّ الرجال الصالحين يُحْفَظون في ذريتهم الضعاف كما في اية: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} [الكهف: 82]. فإن الغلامين حُفِظا ببركة أبيهما في أنفسهما ومالهما[(118)].

ـخ سبب لقبول الأعمال التي بها سعادة العباد في الدنيا والاخرة:

قال تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ *} [المائدة: 27].

ـخ سبب النجاة من عذاب الدنيا:

قال الله تعالى: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ *وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ *} [فصلت: 17 . 18].

ـخ تكفير السيئات، وهو سبب النجاة من النار، وعظم الأجر هو سبب الفوز بالجنة:

قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا *} [الطلاق: 5].

ـخ هم الورثة لجنة الله:

قال تعالى: {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا *} [مريم: 63].

ـخ يسيرون إلى الجنة ركباناً:

مع أنّ الله عز وجل يقرّبُ إليهم الجنة تحيةً لهم، ودفعاً لمشقتهم. قال تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ *} [ق: 31]. وقال تعالى: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَانِ وَفْدًا *} [مريم: 85].

ـخ تجمعُ بين المتحابين من أهلها حين تنقلب كل صدقة ومحبة إلى عداوة ومشقة:

قال تعالى: {الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ *} [الزخرف: 67].

ومن بركة التقوى أنّ الله عزّ وجلّ ينزع ما قد يعلق بقلوبهم من الضغائن والغل، فتزداد مودتهم وتتم محبتهم وصحبتهم. قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِيجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِينَ *وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ *}[الحجر: 45 . 47][(119)].

تتخذُ دعوة القران إلى التقوى أساليبَ شتى من الأمر بها، وبيان اثارها، والثناء على أهلها، والترغيب في محاسنهم، وتجلية فضائلهم، والترهيب من تركها، والإعراض عنها، والاتصاف بأضدادها، حتى يظهرَ الفرق بين المتقين والفجار، أو بين أهل البر والتقوى، وأهل الإثم والعدوان[(120)].

رابعاً . إقامة العدل بين الناس:

العدل من الأسس والقيم التي جاءت بها جميع الشرائع السماوية، فأنزل الله به كتبه، وأرسل به رسله. قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد: 25]: أي: العدل، فما من كتاب أنزل ولا رسول أُرسل إلا أمر أمته بالعدل، وأوجبه عليها، والأممُ بين طائع اخذ منه بنصيب، وحائدٍ مائلٍ عن العدلِ والقسط بجهلٍ أو هوى، والرسلُ ما تزال تجدّدُ ما نسيته الأجيال، وتذكر الناسَ بما نسوا إلى أن ختمت الرسالاتُ بخاتمِ الأنبياء محمد (ص).

ولما كانت هذه الرسالةُ المحمدية خاتمةَ الرسالات، والنبيُّ محمد (ص) خاتم الأنبياء والرسل، وهذه الأمةُ . التي جعلها الله شاهدةً على الناس وقيّمة على البشرية، تبلّغها دين الله، وتشهد لها بالإيمان أو عليها بالكفر والعصيان . هي خاتمة الأمم قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة: 143]: فقد كان العدلُ من أهم ما يجب على هذه الأمة، بل هو من أعظم ما يميّزها عن الأمم، ولم يكتف الحقُّ تبارك وتعالى بإيجابِ العدل على هذه الأمة، بل أراد منها أن تجعلَه خُلقاً من أخلاقها، وصفةً من صفاتها، وصبغةً تصطبغ بها من دون الناس، فأمرها أن تكونَ قائمةً بالعدل، بل قوامةً به بين

الناس، لله عز وجل، لا لأي شيءٍ اخر، فلا تحابي فيه قريباً لقرابته، ولا تضارّ عدواً لعداوته. قال تعالى: {كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْشَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *}[المائدة: 8].

فالعدل الذي أمر به الله عز وجل في القران الكريم حقٌّ لكل الناس جميع الناس، لا عدلاً بين المسلمين فحسب، ولا عدلاً مع أهل الكتاب دون سائر الناس، وإنما هو لكل إنسان بوصفه

إنسان، فهذه الصفة ـ صفة الناس ـ هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني، وهذه الصفة هي التي يلتقي عليها البشر جميعاً مؤمنين وكفاراً، أصدقاء وأعداءً، سوداً وبيضاً، عرباً وعجماً، والأمة المسلمة قيمة على الحكم بين الناس بالعدل متى حكمت أمرهم[(121)].

فالعدل من مقاصد القران الكريم، وقد أوجبه الله على المؤمنين به، ولو كان مراغمةً لعواطف البغض والعداوة، {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}، وهو كذلك واجبٌ، ولو كان فيه مراغمة لكافة عواطف الحب وا-لمودة والقرابة {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ} [النساء: 135].

والأمة مأمورة بأن تقوم بالعدل والقسط والشهادة لله، وليس لأحد سواه، وأن يكون ذلك منهم بدافع التقوى والخوف من الله عز وجل؛ حتى يصبح الجميع أمام العدل سواء، من دون اعتبار لدوافع الحب والولاء والقرابة، أو البغضاء والشنان والعداوة؛ لأنها إنما تقوم بالعدل والقسط بين الناس لله وبأمر الله، والعدل بهذه الصورة الشاملة لم تعرفه البشرية قط إلا على يد هذه الأمة، ولم تنعم به البشرية قط إلا تحت حكم الأمة المسلمة[(122)].

خامساً ـ الشورى:

من مقاصد القران الكريم: تحقيق ممارسة الشورى بين الناس.

1 ـ قال تعالى: {فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ *وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ*}[الشورى: 36 ـ 38].

وهناك دلالات لطيفة لقيمة الشورى في الإسلام، في ضوء تفسير هذه الاية، فالاية وردت في سورة تحمِلُ اسم الشورى، وهي سورة الشورى، وتسمية إحدى سور القران الكريم باسم الشورى هو في حدِّ ذاته تشريفٌ لأمر الشورى، وتنويه بأهميتها ومنزلتها، وجاءت الشورى في هذه الاية وصفاً تقريرياً، ضمن صفات أساسية لجماعة المؤمنين المسلمين، فهم بعد إيمانهم متوكلون على ربهم، مجتنبون لكبائر الإثم والفواحش، مستجيبون لأمر ربهم، مقيمون لصلاتهم، وأمرهم شورى بينهم، ويزكون أموالهم، وينفقون منها في سبيل الله[(123)].

وهي اية مكية، مما يدل على أنّ الشورى في الإسلام ممارسةٌ اجتماعية قبل أن تكون من الأحكام السلطانية، وهي تصفُ حال المسلمين في كلِّ زمان ومكان، فهي ليست طارئةً ولا مرحليةً، ولقد جعل الله سبحانه احترامَ الشورى من أثمن خصال المؤمنين وصفاتهم.

وهي تجعل جميع المسلمين فيما لم ينزل فيه وحي، شورى بينهم، فهي حق لهم جميعاً، إلا ما كان من شأن أهل العلم والتخصص، فإنّ المؤمنين يحملهم إيمانهم أن يردوا ما أشكل عليهم إلى مَنْ يعلمُ كيف يستنبطُ الأحكام من النصوص[(124)].

وقد انتبه عدد من العلماء إلى وقوع هذه الاية الكريمة كصفة من ضمن صفات تعدّ من المقومات والأركان الاساسية في {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}، وهو ما يعني أنها واحدةٌ من تلك الفرائض والأركان. قال تعالى: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ} يدل على جلالة موقع {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *}، لذكره لها مع الإيمان وإقامة الصلاة، ويدل على أنهم مأمورون بها.

2 . وقال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْحَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ *}[ال عمران: 159].

وهذه الاية جاءت خطاباً لرسول الله (ص) بصفته داعياً وهادياً، ومرشداً ومربياً، وأميراً وقائداً، وهذا ما يقتضيه أن يكون رفيقاً بالناس، متلطفاً معهم، رحيماً لهم، عفواً عنهم، متسامحاً معهم، بل مستغفراً لهم في أخطائهم وذنوبهم، ومستشيراً لهم، ومراعياً لارائهم، وهذا الأمرُ لرسول الله (ص) من الله بمشاورة أصحابه هو أمرٌ لكل من يقوم مقامه من الدعاة والقادة والأمراء، بل إنَّ العلماءَ والمفسرين يعتبرون أنَّ هؤلاء مأمورون من باب أولى وأحرى، فهم الأحوجُ إلى هذا الأمر، وبفارق كبير جداً عن رسول الله (ص)، ومن هنا عُدت هذه الايةُ قاعدةً كبرى في الحكم والإمارة، وعلاقة الحاكم بالمحكوم، فالشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين . وأهل التخصص في فنون العلوم . فعزله واجب، وهذا ما لا خلاف فيه[(125)].

إن الشورى مقصد من المقاصد الإسلامية، وجزء من الشريعة الإسلامية.

سادساً . الحرية:

من مقاصد القران الكريم: إبطالُ عبودية البشر للبشر، وتعميم الحرية لكل الناس، ومن قواعد الفقه قول الفقهاء: الشارعُ متشوِّفٌ للحرية، فذلك استقراؤهم من تصرفات الشريعة؛ التي دلت على أنّ من أهم مقاصدها إبطال العبودية وتعميم الحرية، ولكن دأبُ الشريعةِ في رعي المصالح المشتركة، وحفظ النظام العام، وقفَ بها عن إبطال العبودية بوجه عام، وتعويضها بالحرية، وإطلاق العبيد من ربقة العبودية، وإبطال أسباب تجدّد العبودية، مع أنّ ذلك يخدم مقصدَها، كان ذلك التوقف من أجل أنَّ نظامَ المجتمعات في كل قطر قائمٌ على نظام الرق، فكان العبيدُ عمّال في الحقول، وخدم في المنازل والغروس، ورعاة للأنعام، وكانت الإماء حلائل لسادتهن، وخادمات في منازلهم، وحاضنات لأبنائهم، فكان الرقيقُ لذلك من أكبر الجماعات التي أقيمَ

عليها النظام العائلي والاقتصادي والاجتماعي لدى الأمم حين طرقتهم دعوة الإسلام، فلو جاء الإسلام بقلب ذلك النظام رأساً على عقب؛ لانفرط عقدُ نظام المدينة انفراطاً تعسر معه عودة انتظامه، فهذا موجب إحجام الشريعة عن إبطال الرق الموجود، وأما إحجامها عن إبطال تجدد سبب الاسترقاق الذي هو الأسر في الحروب، فلأن الأمم التي سبقت ظهور الإسلام قد تمتعت باسترقاق من وقع في أسرها، وخضع إلى قوتها، وكان من أكبر مقاصد سياسة الإسلام إيقاف غلواء تلك الأمم، والانتصاف للضعفاء من الأقوياء، وذلك ببسط جناح سلطة الإسلام على العالم، وبانتشار اتباعه في الأقطار، فلو أن الأمم التي استقرت لها سيادة العالم من قبلُ أمنت عواقب الحروب الإسلامية . وأخطر تلك العواقب في نفوس الأمم السائدة الأسر والاستعباد والسبيُ . لما ترددت الأمم من العرب وغيرهم في التصميم على رفض إجابة الدعوة الإسلامية اتكالاً على الكثرة والقوة، وأمناً من وصمة الأسر والاستعباد[(126)]، كما قال صفوان بن أمية في مثله: لأن تربُّني قريشٌ خيرٌ من أن تربُّني هوازن.

وكما قال النابغة:

حذاراً على أن لا تُنالَ مقادتي ولا نسوتي حتى يَمُتْنَ حرائرا[(127)]

فنظر الإسلامُ إلى طريقٍ بين مقصدي: نشر الحرية وحفظ نظام العالم، بأن سلَّط عوامل الحرية على عوامل العبودية مقاومة لها لتقليلها، وعلاجاً للباقي منها، وذلك بإبطال أسباب كثيرة من أسباب الاسترقاق، وقصره على سبب الأسر خاصة، فأبطل الاسترقاق الاختياري، وهو بيع المرء نفسه، أو بيع كبير العائلة بعضَ أبنائها، وقد كان ذلك شائعاً في الشرائع، وأبطل الاسترقاق لأجل الجناية، بأن

يُحْكَمَ على الجاني ببقائه عبداً للمجني عليه، وقد حكى القران عن حالة مصر: {قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ} [يوسف: 75]. وقال: {كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ} [يوسف: 76].

وأبطل الاسترقاقَ في الدَّين الذي كان شرعاً للرومان، وكان أيضاً من شريعة سولون في اليونان من قبلُ، وأبطل الاسترقاقَ في الفتن والحروب الداخلية الواقعة بين المسلمين، وأبطل استرقاق السائبة، كما استرقت السيارةُ يوسف عليه السلام إذ وجدوه.

ثم إن الإسلام التفت إلى علاج الرق الموجود، والذي سيوجد، بروافع ترفعُ ضرر الرق، وذلك بتقليله عن طريق تكثير أسباب رفعه، وبتخفيف اثار حالته، وذلك بتعديل تصرف المالكين في عبيدهم الذي كان مالكه معتناً[(128)].

ومن منافذ الحرية للأرقاء التي فتحها الإسلام:

1 . جعل الإسلام تحرير الأرقاء قربة إلى الله: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ *} [البلد: 12].

2 .كفارة يمين الحانث: إطعام عشرة مساكين، أو تحرير رقبة.

3 .كفارة الظهار لمن أراد أن يرجع زوجته بدايتُه تحرير رقبة، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَآسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *} [المجادلة: 3].

4 . من أفطر في نهار رمضان: فعليه كفارة، منها تحرير رقبة.

5 . ملك اليمين إذا أنجبت من سيدها، تسمّى «أم ولد»، فإذا مات سيدها قبلَها صارتْ حرةً.

6 . المكاتبة: أن يتفق العبدُ مع سيده على مبلغٍ من المال يدفعه، أو يقوم بعمل يصيرُ بعده حراً، قال تعالى: {الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ} [النور: 33].

7 . العبد الذي يملكه اثنان أو جماعة، فإذا حرَّرَ واحدٌ منهم نصيبه، امتنع أن يباع العبد.

8 . تحرير الأرقاء مصرف من مصارف الزكاة، قال تعالى: {إِنَّمَاالصَّدَقَاتُلِلْفُقَرَاءوَالْمَسَاكِينِوَالْعَامِلِينَعَلَيْهَاوَالْمُؤَلَّفَةِقُلُوبُهُمْوَفِيالرِّقَابِوَالْغَارِمِينَوَفِيسَبِيلِاللَّهِوَابْنِالسَّبِيلِفَرِيضَةًمِّنَاللَّهِوَاللَّهُعَلِيمٌحَكِيمٌ} [التوبة: 60].

لقد انقرض الرق أمام أبواب الحرية التي فتحها الإسلام، ولم يكن الإسلام أول من أباح الرق، بل كان أول من حرر الأرقاء بأسلوب منطقي، بأسلوب الترغيب تارة وبأسلوب الترهيب تارة أخرى عن طريق الكفارات، كما رأينا[(129)].

لقد قتل الإسلام مشاعر الإحساس بالعبودية، بأن ترفّع عن نداء العبد بكلمة عبدي، وإنّما بأسلوبٍ أرقى، وهو كلمة: غلامي وجاريتي، وفتاي وفتاتي، قال (ص): «لا يقولنّ أحدُكم عبدي وأمتي، وليقل فتاي وفتاتي، ولا يقل أحدكم: ربِّي، وليقل سيدي»[(130)].

وقد نهى النبيُّ (ص) عن التشديد في الخدمة، ففي الحديث: «لا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه فليعنه»، والأمر بكفاية مؤنتهم وكسوتهم، ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه قال رسول الله (ص): «عبيدكم خَوَلكم، إنما هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جُعِلَ أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس»[(131)] ونهى عن ضربهم الضرب الخارج عن الحد اللازم، فإذا مثّل الرجل بعبده عتق عليه[(132)].

فمن استقراء هذه التصرّفات ونحوها حصل لنا بأنَّ الشريعةَ قاصدةٌ بثَّ الحرية، والقضاءَ على العبودية للمخلوق.

والقرانُ الكريم من مقاصده تركُ الخيار للناس كافة في اختيار المعتقَدِ بعد تبيّن الرشد من الغي، وتترك لهم كذلك حرية التفكير، وحرية التعبير. وإليك الشرح:

1 . حرية الاعتقاد:

أسس الإسلام حرية الاعتقاد لإبطال المعتقدات الضالّة التي أَكْرَهَ دعاةُ الضلالة أتباعهم ومريديهم على اعتقادها من دون فهم ولا هدًى، ولا كتاب منير،

وبالدعاء إلى إقامة البراهين على العقيدة الحقة، ثم بالأمر بحسن مجادلة المخالفين وردّهم إلى الحق بالكلمة والموعظة، وأحسن الجدل، ثم بنفي الإكراه في الدين[(133)]، قال تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} [البقرة: 256].

ولو أراد الخالقُ جلّت قدرتُه لدخلَ جميعُ مَنْ على الأرض من الناس في دينِ الإسلام، ولكنْ له حكمةٌ في إعطاء الناس الحرية فيما يختارون وما يسلكون من طريق، حيث قال: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآَمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ *} [يونس: 99].

ولا شك أنَّ الإنسان بما وهبه الله من عقل وسمع وبصر قادرٌ على التمييز بين الحق والباطل، حتى يستطيعَ اختيارَ الطريق الصحيح، قال تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَمِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا *}[الإنسان: 2 . 3].

وتتكرّرُ الايات القرانية في أكثر من سورةٍ حول حريةِ الاعتقاد، وعدم إجبار مَنْ لم يقتنع بالإسلام على اعتناقه، فيخاطِبُ الله تبارك وتعالى نبيَّه محمداً (ص) قائلاً: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ} [الكهف: 29]. وقال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ *} [الأنعام: 107]. وقال تعالى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ} [الشورى: 48]. وقال تعالى: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ *لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ *} [الغاشية: 21 . 22]. وقال تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا *} [النساء: 80].

والدين الإسلامي الحنيف ليس دينَ قمعٍ وإكراهٍ، بل دينُ يسرٍ، يقوم على مبدأ وسائل الإقناع، والتزام جادّة العقل من خلال منهج الحوار البنَّاء، والتعبير الحر، والجدال الموضوعي المنطقي في النقاش، البعيد عن المهاترات وإثارة الفتن، والشريعةُ الإسلامية تشدّد وتؤكد على قدسية هذا المنهج؛ لذا نجد أنّ الخالق يأمرُ رسوله محمداً (ص) بأن يدعوَ الناس إلى دين الإسلام بالحكمة، ويخاطبه قائلاً: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: 125].

وفي مجادلة أهل الكتاب يقول تعالى مخاطباً المؤمنين: {وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ *} [العنكبوت: 46][(134)].

2 . حرية التعبير «الأقوال»:

فهي التصريحُ بالرأي والاعتقادِ في منطقةِ الإذن الشرعي، وقد أمر الله ببعضها في قوله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *} [آل عمران: 104]. وقال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} [آل عمران: 110]. وقال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} [التوبة: 71]. وقال تعالى: {يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ *} [لقمان: 17].

وقد جاء التوجيه القراني الكريم بالتزام القول الحسن، وترك ما عداه ممّا لا فائدةَ منه، أو ممّا فيه مضرةٌ في الدين، أو في العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم.

وقد حدد القران الكريم والسنة النبوية المطهرة ضوابط الكلام وادابه تحديداً دقيقاً وواضحاً، نجمل شيئاً منه فيما يلي:

1 . الضوابط المتعلقة باللفظ في مثل قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ *} [البقرة: 104].

2 . الضوابط المتعلقة بالمضمون في مثل قوله سبحانه: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ *} [الأعراف: 33].

3 . الضوابط المتعلقة بالهدف والأسلوب في مثل قوله عز وجل: {يَاأَيُّهَاالَّذِينَآمَنُوااتَّقُوااللَّهَوَقُولُواقَوْلًاسَدِيدًا} [الأحزاب: 70].

4 . الضوابط المتعلقة بالتوقف والتثبت من المصدر في مثل قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً *} [النساء: 83]. والاية الأخيرة: إنكارٌ على من يبادرُ إلى الأمور قبل تحقُّقها، فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا تكونُ لها صحةٌ، وقد قال رسول الله (ص): «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع»[(135)]، وعن المغيرة بن شعبة أنّ رسول الله (ص): «نهى عن قيل وقال»[(136)]، أي: الذي يكثر من الحديثِ عمّا يقول الناس من غير تثبت، ولا تدبر، ولا تبين[(137)].

5 .كما حرّم الله ورسوله (ص) الكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور والسب والشتم والقذف في أدلة ظاهرة معلومة من الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة[(138)].

3 . حرية الفكر:

لم يترك القرانُ الكريمُ أسلوباً نفسياً أو واقعياً إلا واتبعه من أجل حثِّ الإنسان على التفكير، واستعمال عقله بصورةٍ واضحةٍ جلية، وإليك أخي القارأى الكريم البيان:

أ . طلب القرانُ الكريمُ من الناس أن يستعملوا عقولهم، ويفكروا، ولنستمع لهذه الايات في الإيمان ورسوله: {قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا} [سبأ: 46].

وفي تفسير طبيعة الرسالة وشخصية الرسول (ص) يقول تعالى: {قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ *} [الأنعام: 50].

وفي لفت النظر إلى أسرار التشريعات المختلفة عبادية أو اجتماعية، يقول تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ *}[البقرة: 219].

وفي إشعار الإنسان بأنّ هذا الكونَ كلَّه خُلِقَ لارتفاقه، ويُسِّرَ برُّه وبحرُه وعلوُّه وسفلُه له[(139)]، يقول تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *} [الجاثية: 13].

ب . طلب القران الكريم من البشر أن يستعملوا عقولهم فيما تراه عيونهم ببساطة من ظواهر يومية، ويفكروا فيها، وفي سبب وكيفية وجودها، وذلك حتى يعرفوا أنّ هنالك سبباً، وهناك علاقة بين كل ما يتضمنه هذا الكون؛ الذي تمَّ ترتيبه بإحكام ودقة، وفي النظر في السماوات وما حوته، وفي الأرض وما عليها، يقول تعالى: {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} [يونس: 101].

وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمّىً} [الروم: 8].

وقال تعالى: {أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ *وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ *وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ *وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ *} [الغاشية: 17 . 20].

وفي النظر في أصل نشأة الإنسان وخَلْقِه يقول تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ *خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ *يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ *} [الطارق: 5 . 7]. وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ *} [يس: 77].

ج . وحتى يحفّز القرانُ الكريم العقلَ الإنسانيَّ للتفكر هاجمَ الذين يلغون عقولهم وتفكيرهم، ونعى عليهم هذه الطريقة في الحياة التي تجعلُهم كالدواب، ذلك أنَّ العقل الإنساني وملكة التفكير هي التي تميّزُ الإنسان من الحيوان، يقول تعالى:

{يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ *} [الأعراف: 179].

د . نبه القران الكريم إلى العوائق الواقعية التي تعطّل التفكير، وطلب إزالتها حتى لا تقفَ بوجه العقل الإنساني، والتفكير الصحيح، فرفض التبعية الفكرية، والإيحاء الفكري المتوارث عائلياً واجتماعياً، فأكد بذلك شخصية كل فرد، واستقلاليته الفكرية. قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ *} [البقرة: 170]. وقال تعالى: {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ *وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ *} [الزخرف: 22 . 23].

فالمترفون عادةً لا يريدون التفكير في الأسس الاجتماعية والاقتصادية والعقائدية، لأنّهم طبقة مستفيدة من الوضع القائم، فهي لا تريدُ حتى التفكير في وضع جديد[(140)].

كما نبّه القران الكريم إلى عائق اخر ذي تأثير عملي، ألا وهو الطاعة العمياء بلا فكر لأصحاب الجاه والسلطان، قال تعالى: {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ *} [الأحزاب: 67].

هـ واستعمل القران الكريم أسلوب المقارنة الفكرية بين الشيء وضده لينشّطَ العملية الفكرية، وليخلق ملكةَ المقارنةِ، ويطوّر المقدرة على التفكير بشكل صحيح[(141)]، قال تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ} [الرعد: 16].

وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ *تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ *وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ *} [إبراهيم: 24 . 26].

و . وأفرد القران الكريم مكانةً خاصةً للذين يفكّرون ويتعمّقون في التفكير، ويصبح تفكيرُهم علماً نافعاً للإنسان في هذه الحياة، وميّزهم، عن غيرهم وما ذلك إلا مرحلة أخرى متقدّمة من كيفية طلب التفكير وضرورته، واحترام العقل الإنساني، ودفعه نحو أرقى مراحل العلم، قال سبحانه وتعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة: 11].

وبهذا يكون المنهجُ القرانيُّ وضع حرية التفكير في الاتجاه السليم والمنطق الصحيح، فليس فيها أوهام وخرافات، وليس فيها جمودٌ ولا تقليد، وإنما هي دعوة لتكريم العقل الإنساني، وتحريره من ربقة البلادة والخمول، وتنبيهه إلى أداء مهمته في البحث والتفكير[(142)].

ولقد ظهرت حرية العلم والتعليم والتأليف والتفكير في أجمل مظهرٍ في القرون الثلاث الأولى من تاريخ الإسلام، إذ نشر العلماءُ فتاواهم ومذاهبهم وعلمهم، واحتجَّ كل فريق لرأيه، ولم يكن ذلك موجباً للمناوأة ولا للحزازات، وقد قال رسول الله (ص): «نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، فرب حامل فقه إلى ما هو أفقه منه، ورب حامل فقه إلى ما ليس بفقيه»[(143)].

وهذا هو المقامُ الذي تحقق فيه مالك بن أنس حين قال له الخليفة أبو جعفر المنصور: إني عزمتُ أن أكتب من كتابك «يعني الموطأ» نسخاً، ثم أبعثُ إلى كلِّ مصرٍ من الأمصار نسخةً، وامرهم أن يعملوا بما فيها، ولا يتعدوها إلى غيرها.

فقال الإمام: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنَّ الناسَ قد سبقت لهم أقاويلُ، وسمعوا أحاديث، وأخذ كلُّ قوم بما سبق إليهم من اختلاف أصحاب رسول الله (ص) وغيرهم وأن ردهم عن ذلك شديد، فدع الناسَ وما هم عليه[(144)].

4 . حرية التنقل:

كفل الإسلام حرّيةَ التنقل لكلِّ فردٍ حسبما يريدُ، سواء كان ذلك داخلَ حدودِ

الدولة الإسلامية أم خارجها، ويمكن إجمالُ صور التنقل فيما يلي:

أ . التنقل لتحقيق نفع ديني ودنيوي:

وذلك مثل التنقل طلباً للرزق بالطرق المشروعة، من تجارةٍ وغيرها، قال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ *} [الملك: 15].

ومثل التنقل طلباً للعلم، قال تعالى: {فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ *} [التوبة: 122].

ومثل السفر بقصد زيارة الأرحام والإخوان في الله، وبقصد زيارة البقاع الشريفة كمكة والمدينة، ومثل السفر بقصد الترويح عن النفس على الوجه المشروع، فالسياحةُ مباحة، لأنها تفتح العينَ والقلبَ على المشاهدة الجديدة التي لم تألفها العينُ، ولا يملَّها القلبُ، بل قد تكون السياحةُ مندوباً إليها، إذا كانت على سبيل التدبر والاعتبار، ومعرفة سنن الله تعالى في الأمم السالفة، قال الله تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ *} [الأنعام: 11].

ب ـ التنقل لأداء واجب ديني:

كالسفر لأداء فريضة الحج، أو الجهاد في سبيل الله، قال تعالى: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ *} [الحج: 27]. وقال تعالى: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *} [التوبة: 41]. وهذا خطاب للمؤمنين، وعقب ذلك أنزل الله تعالى في شأن المنافقين قوله تعالى: {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ *} [التوبة: 42]، أي: لو كان ما دعوتهم إليه من الخروج في سبيل الله سفراً وسطاً، ومتاعاً من الدنيا سَهْلَ المأخذ، لاتّبعوك، وخرجوا معك طلباً للغنيمة[(145)].

جـ الهجرة حفاظاً على سلامة العقيدة:

أوجب الإسلام الهجرة على كل مسلم تعرّضَ للذل أو المهانة، أو خاف أن يفتن في دينه، ووصف الذين يتقاعسون عن الهجرة، مع استطاعتهم لها؛ بأنهم من الظالمين لأنفسهم، ولم يستثن من ذلك إلا الفئة العاجزة فعلاً عن الهجرة من كبار السن والنساء والولدان، وقد قال عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا *إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً *} [النساء: 97 ـ 98][(146)]. إنَّ الإسلام اعتنى بالحرية بأنواعها، وقدّرها حقّ قدرها، سواء حرية الاعتقاد، أو حرية التعبير، أو حرية الفكر، أو حرية التنقل، وجعل الحرية مقصداً من مقاصده.

سابعاً ـ رفع الحرج:

إنّ من مقاصد القران الكريم رفع الحرج عن المكلفين، ووردت ايات كثيرة جداً تبيّن أن هذا الدين دين يسر، وأنّ الله قد رفع الحرج عن هذه الأمة فيما يشق عليها، حيث لم يكلّفها إلا وسعها، وسأبيّن أدلةَ التيسيرِ، ثم أدلة رفع الحرج، ثم أدلّة عدم التكليف بغير الوسع والطاقة.

1 . أدلة التيسير والتخفيف:

قال تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: 185]. وقال سبحانه: {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا *} [النساء: 28]. وقال عز وجل: {وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى *} [الأعلى: 8]. وقال تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا *إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا *} [الشرح: 5 . 6]. وقال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا *} [الطلاق: 4]. وقال تعالى: {سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا *} [الطلاق: 7]. هذه بعض الايات التي تفيد التيسير على هذه الأمة، وقد ذكر المفسرون في تفسيرهم هذه الايات؛ أنّ الله

أراد لهذه الأمة اليسر، ولم يرد لها العسر[(147)].

2 . أدلة رفع الحرج:

من أقوى الأدلة على رفع الحرج قوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج: 78]، أي: ما كلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجاً ومخرجاً[(148)]. وقال سبحانه: {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ *} [المائدة: 6]. وقال سبحانه: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ} [التوبة: 91]. وقال تعالى: {مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ} [الأحزاب: 38]. وقال تعالى: {لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ} [النور: 61].

وفي هذه الايات دلالةٌ ظاهرةٌ على رفع الحرج عن هذه الأمة، وأنَّ الله لم يجعل في التشريع حرجاً، وبعض هذه الايات وإن كانت خاصّةً في أحكام معينة، ولكننا نجدُ التعليل عاماً، فكأنَّ التخفيفَ ورفعَ الحرج في هذه الأحكام والفروض بإعادة الشيء إلى أصله، وهو رفع الحرج عن هذه الأمة، فكل شيء يؤدي إلى الحرج لسبب خاص أو عام فهو معفو عنه، رجوعاً إلى الأصل والقاعدة[(149)].

3 . أدلة عدم التكليف بما يضاد الوسع والطاقة:

قال سبحانه: {لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} [البقرة: 286].

وقال الله تعالى كما في الحديث الصحيح: «قد فعلت»[(150)].

وكذلك قوله تعالى: {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا} [البقرة: 286].

والوسع: ما يسعُ الإنسانَ فلا يعجزُ عنه، ولا يضيقُ عليه، ولا يحرج فيه،

قال تعالى: أي: {لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} يحملها إلا ما تسعه وتطيقه ولا تعجز عنه، أو يحرجها دون مدى غاية الطاقة، فلا يكلّفها بما يتوقف حصوله على تمام صرف القدرة، فإنّ عامة أحكام الإسلام تقعُ في هذه الحدود، ففي طاقة الإنسان وقدرته الإتيان بأكثر من خمس صلوات،وصيام أكثر من شهر، ولكنَّ الله جلّت قدرتُه، ووسعت رحمتُه، أراد بهذه الأمة اليسرَ، ولم يرد بها العُسْرَ[(151)].

ومن الأدلّة على أنَّ التكليف بحدود الوسع والطاقة قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *} [الأعراف: 42].

ويقولُ سبحانه: {وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} [المؤمنون: 62]. فسنة الله جارية على أنه لا يكلف النفوس إلاّ وسعها، وجاء التأكيد على هذه القاعدة عند ذكر بعض الأحكام الفرعية، فقال سبحانه: {وَعَلَى الْمَولُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا} [البقرة: 232].

وكذلك قوله تعالى: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا} [الطلاق: 7].

وكذلك أيضاً قوله تعالى: {وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} [الأنعام: 152].

هذه هي الايات التي وردت مبيّنةً أنَّ التكليف بحسب الوسع والطاقة، وتبيّن أن رفع الحرج من مقاصد القران الكريم.

ثامناً . تقرير كرامة الإنسان:

يظهر التكريمُ الإلهيُّ للإنسان في عِدّةِ أمورٍ، منها:

1 . الإنسان خليفة في الأرض:

أكد القران الكريم أن الإنسان مخلوق كريم على الله، فقد خلق ادم بيديه، ونفخ فيه من روحه، وجعله في الأرض خليفة، تكريماً للإنسان، وجاء ذلك فيحوار بديع، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ *} [البقرة: 30].

2 . الإنسان محور الرسالات السماوية:

إنّ الإنسان هو المقصودُ غايةً وهدفاً في ابتعاث الرسل، واختيار الأنبياء، وإنزال الكتب والصُّحف، وإنّ الله سبحانه وتعالى الذي جعل ادمَ خليفةً في الأرض، اقتضت حكمته ومشيئته ورحمته بالإنسان ألاّ يخلقه عبثاً، وألاّ يتركه سدًى، وإنّما تكفّل بهدايته وإرشاده، وأخذ بيده إلى الطريق الأقوم، والمنهج الأمثل، وطمأنه منذ استقراره في الأرض أنه لن يدعه طعاماً سائغاً لوساوس الشيطان، ولن يتركه نهباً للوهم، والخبط، والضلال، والشهوات، ولن يسلمه للجهالة والحيرة والضياع، وإنما أكرمه بالهداية والرشاد بالتي هي أقوم[(152)]، قال تعالى: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدَىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ *} [البقرة: 38]. وقال تعالى: {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنّ ُكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى *وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى *} {مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى *}[طه: 123 . 124].

وهكذا توالت الرسلُ، وتتابع الأنبياء، وأُنزلت الكتب، وكلّها تدور على محور واحدٍ، هو الإنسان، بما يحقق له السعادة في الدنيا والاخرة، وجاءت الشرائع لتأمينِ مصالح الناس بجلب النفع لهم، ودفع المضارّ عنهم، فترشدهم إلى الخير، وتهديهم إلى سواء السبيل، وتدلّهم على البر، وتأخذ بيدهم إلى الهدى القويم، وتكشِفُ لهم طريق الخير، وتحذّرهم من الغواية والشرّ[(153)].

وجاءت الشريعة لتحصيل المصالح وتكميلها، وتقليل المفاسد وتعطيلها[(154)]، فإنّ الأحكام الشرعية إنما شرعت لجلب المصالح، أو لدرء المفاسد[(155)].

3 . تكليف الملائكة بالسجود لادم:

لم يقتصر الأمر الإلهي باختيار الإنسان خليفة في الأرض، بل تأكد ذلك في السماء والجنات العلا، واقترن بالفعل والتطبيق، وأعلن الله تعالى ذلك في الملأ الأعلى بإرادته عن خلق ادم، واتخاذه خليفة،

وسجل ذلك في اللوح المحفوظ، وأنزله وحياً يتلى على البشر، ثم أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لادم تعظيماً، واحتراماً له؛ لأنّ الإرادة الإلهية تعلقت باختياره، فقال تعالى: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ *فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ *فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ *إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ *} [ص: 71 . 74]. وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ *فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُفِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ *إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ *}[الحجر: 28 . 31].

وكرّر القران الكريم هذا الأمر، وهذه القصة في عدة سور قرانية لتذكير الإنسان بفضل الله تعالى أولاً، وليعرف مكانته من الوجود والكون ثانياً، وليحذره من غواية إبليس ثالثاً[(156)].

4 . تفضيل الإنسان عن سائر المخلوقات:

صرّح القران الكريم بهذا التفضيل والتكريم، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً *} [الإسراء: 70].

5 . تسخير ما في الكون للإنسان:

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} [لقمان: 20].

وصرّح القران الكريم بأنّ الله تعالى خلق الأنعام، وملّكها للإنسان، ثم ذلّلها له للركوب، والأكل، والمنافع، والمشارب، قال تعالى:

{لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ *وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ *} [يس: 71 . 73].

ووجّه القران الكريم الإنسان إلى البحث في الكون، والتعرف على خواصّه وأسراره، والانتفاع به في الحياة.

فقال تعالى عن الثروة المائية: {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} [النحل: 14]. وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ *} [الأنعام: 141].

وقال تعالى عن الثروة الحيوانية: {وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ *وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ *وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ *وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ *} [النحل: 5 . 8].

وقال تعالى عن الثروة الصناعية: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ *} [الحديد: 25]. وقال تعالى: {وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *} [سبأ: 10 . 11].

6 . تكريم الإنسان بالعقل:

فالعقل هو الأداة الكبرى للمعرفة، ويتفرّع عنه التفكير، والإرادة، والاختيار، وكسب العلوم؛ لذلك كان الإنسانُ مسؤولاً عمّا يصدر عنه، قال تعالى: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً *} [الإسراء: 36].

وعدّ القران الكريم الإنسانَ الذي يعطل حواسه وعقله أضلّ من الأنعام والحيوان؛ لأن لديه وسائل المعرفة، لكنه عطلها عما خلقت له. قال تعالى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ *} [الأنفال: 22].

وقد تعدّدت الاياتُ القرانية صراحةً وإشارةً في مخاطبة العقل، ودعوته

للتفكير، والنظر والبحث في الكون، وجعل التفكير فريضة إسلامية. قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ *الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ *} [آل عمران: 190 . 191]. وقال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ *}[الروم: 24] وقال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ *}[البقرة: 164] وقال تعالى: {وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ

صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ *}[الرعد: 4].

وايات كثيرة تثيرُ العقلَ وتحثّه، وتؤدي بالعقل إلى الإيمان بالله تعالى، واليقين بأنّه الخالق المدبر.

وبالمقابل إذا فشل العقل في أداء هذه الوظيفة فقد وجوده، وسلب الإنسان إنسانيته، وهذا ما أكّده القران الكريم بنفي العقل عن الكفار، وحكم عليهم بأنّهم لا يعقلون، وذلك لعدم الاستفادة من السمع والبصر للانتفاع من ايات الكون التي تنطِقُ بوجود الله تعالى، وتوجب طاعته، وعندئذٍ ينسلخ الكافر من إنسانيته، ويتساوى بالحيوان ثم ينحدر عنه[(157)]، قال تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً *}[الفرقان: 43 . 44].

7. تكريم الإنسان بالأخلاق والفضائل:

تظهر كرامة الإنسان والدعوة إلى تكريمه بدعوة الإسلام إلى الأخلاق الفاضلة، وترغيب الفرد والمجتمع بمعالي الأمور، والتسامي عن المادة،

والحض على الخير والفضيلة بين الناس[(158)]؛ لذلك وصف القران الكريم نبيَّه محمداً (ص) بأعلى أوسمةِ الفخار والثناء، فقال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ *} [القلم: 4]. وبين ذلك رسول الله (ص) فقال: «إنما بُعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاق»[(159)].

فدعا الإسلامُ الناسَ جميعاً إلى البِرِّ، والرحمة، والإخاء، والمودة، والتعاون، والوفاق، والصدق، والإحسان، ووفاء الوعد، وأداء الأمانة، وتطهير القلب، وتخليصه من الشوائب، كما دعا إلى العدل والمسامحة والعفو، والمغفرة والصبر والثبات، ودعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحَثَّ على النصيحة وغير ذلك من مكارم الأخلاق والفضائل[(160)]، والأخلاق الفاضلة تزين الإنسانيةَ، وتُعلي شأنها، وتُنسق بين أفرادها، وتصون العلاقات الجماعية، وتوجيهها إلى الخير والكمال، لتصوّر الحياة البشرية في أجمل صورها، وأحسن أحوالها، وتتجنّب الرذيلة، والفساد الخُلُقي والاجتماعي[(161)].

8 . تكريم الإنسان في تشريع الأحكام:

وهذا بابٌ واسعٌ يُغطي جميعَ الأحكام الشرعية، ويدفع لمعرفة العلة فيها والحكمة من تشريعها، ولذلك نضربُ بعض الأمثلة فقط كنماذج:

أ . وجود الإنسان:

قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *} [الروم: 21]. أي: جنسكم أي: تأنسوا {مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا}، فإنَّ المجانسة من دواعي التضامن والتعاون أي: تواداً وتراحماً بعصمة الزواج بعد أن لم يكن {وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً}، ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم أي: في بدائع هذه الأفاعيل المتينة المبنية على الحكم البالغة

ب . حقوق الأولاد:

قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} [التحريم.: 6] أمر الله عزّ وجلّ في هذه الاية بأن يقي المؤمنون أنفسَهم النار بأفعالهم، وأهليهم بالنصح، والوعظ، والإرشاد، وهذا يتطلّب الالتزام التام بأحكام الشرع أمراً ونهياً، وترك المعاصي، وفعل الطاعات، ومتابعة القيام بالأعمال الصالحة، وحث الزوجة والأولاد على أداء الفرائض، واجتناب النواهي، ومراقبتهم المستمرة في ذلك[(162)].

ج . احترام إرادة الإنسان في العقود والتصرفات:

ومن ذلك: إرشاد القران الكريم إلى كتابة المداينة بين الأطراف، ثم أمر بالإشهاد عليها، وبيّن الحكمة والغاية من ذلك: قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا} [البقرة: 282]. ثم قال تعالى: {وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ} [البقرة: 282]. ثم بين تعالى الحكمة والغاية، فقال: {ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا} [البقرة: 282].

كما أنّ الله حرّم الغشّ والاعتداء على أموال الاخرين، واغتصاب حقوقهم؛ لأن ذلك يخلّ بالكرامة السامية للطرفين، قال تعالى: {وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ *} [البقرة: 188]. وقال تعالى: {لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ} [النساء: 29].

لقد احترم الإسلام الإنسان، واعتبر إرادته أساساً في التعاقد، والتعامل حتى

سبق تشريعات العالم في سلطان الإرادة العقدية، ثم اعتدّ بالإرادة الإنسانية في سائر التصرفات، وأبطل التصرفات التي تقع بالإكراه، فقال رسول الله (ص): «رُفِعَ عن أمتي الخَطَأُ والنسيانُ وما استُكْرِهُوا عليه»[(163)]، وجمع الحديث بين الخطأ والنسيان، والإكراه؛ لأنّ الإرادةَ مفقودةٌ حقيقةً في هذه الحالات، كما حرّم الإسلام أكل مال الإنسان إلا عن طيب نفسه[(164)].

د . العقوبات:

قال تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ *} [البقرة: 179]. لقد حرص المشرّعُ الحكيم على التكريم الإنساني حتى في باب العقوبات، فقصد حفظ الدماء، والأنفس،والحياة عامة، وراعى الكرامة الإنسانية، فنصّ على الأشياء الممنوعة والمحرمة، وحذّر منها، ورهب من ارتكابها، فإن حصل الخلل، ووقع الخطأ، أو العدوان والإثم، شرع العقاب المناسبَ للجريمة بما لا يمسُّ كرامة الإنسان، فشرع القصاصَ، ومنع المثلة والعدوان، واعتبر العقوبة تأديباً، وإصلاحاً وزجراً وردعاً[(165)].

وقد ورد في النصوص الشرعية أدلةً كثيرةً في رعاية الجانب الإنساني مع المتهم، والمجرم، والجاني، سواء في معاملته، والتحقيق معه، أم في محاكمته، وتأمين حقوقه الإنسانية، ومنحه الحق في الدفاع عن نفسه، أم في معاقبته، وتنفيذ الحكم عليه بالسجن وغيره[(166)].

وبعد: فإنَّ جميع الأحكام الشرعية مُراعًى فيها الناحية الإنسانية؛ لأنَّها ما شرعت أصلاً إلا لمصلحته، وإن الشريعة الغرّاء راعت إنسانيةَ الإنسان بالأحكام الحكيمة العادلة المناسبة له قبل الولادة وبعدها، وسمت برعاية اليتيم والأطفال خاصة، ثم الإنسان عامة، طوال فترة الحياة، ثم رعت شؤونه عند الموت، والتجهيز، والغسيل، والتكفين، والصلاة عليه، ومواراته التراب، وعدم الاعتداء على الميت، أو إيذائه بكلمة، أو غيبة، أو بالجلوس على قبره، وهي أحكام إنسانية بكل ما في الكلمة من معنًى، مما يدركه الباحث في العلوم الشرعية والمتفقه في الفقه وأحكام الإسلام، كما يتجلّى لنا التكريم الإلهي للإنسان في كل صغيرة وكبيرة، وفي جميع شؤون الحياة وأطوار الإنسان؛ ليكون المكرَّم، والمفضَّل، والمقدَّم عند الله، والخليفة في الأرض[(167)].

تاسعاً . تقرير حقوق الإنسان:

من مقاصد القران الكريم تقرير حقوق الإنسان، فحقوق الإنسان في الإسلام ليستْ منحةً من ملك أو حاكم، أو قرار صادر عن سلطة محلية أو منظمة دولية، وإنّما هي حقوقٌ ملزمة بحكم مصدرها

الإلهي لا تقبل الحذف ولا النسخ ولا التعطيل، ولا يسمحُ بالاعتداء عليها، ولا يجوزُ التنازل عنها[(168)]، ومن هذه الحقوق:

1 . حق الحياة:

حياة الإنسان مقدّسةٌ، لا يجوز لأحدٍ أن يعتدي عليها، قال تعالى: {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة: 32].

ولا تُسْلَبُ هذه القدسية إلا بسلطانِ الشريعةِ، وبالإجراءات التي تقرّها، وكيان الإنسان المادي والمعنوي حِمًى تحميه الشريعة في حياته وبعد مماته، ومن حقه الترفق والتكريم في التعامل مع جثمانه[(169)].

2 . حق الحرية:

حرية الإنسان مقدسةٌ .كحياته سواء . وهي الصفةُ الطبيعيةُ الأولى التي بها يولد الإنسان، وقد بينا أنّ من مقاصد الشريعة الحرية، وتحدثنا عن أنواعها، كحرية المعتقدات، وحرية التعبير، وحرية الفكر، وحرية التنقل.

ويجب توفير الضمانات الكافية لحماية حرية الأفراد، ولا يجوزُ تقييدها أو

الحد منها إلا بسلطان الشريعة، وبالإجراءات التي تقرّها، ولا يجوزُ لشعب أن يعتدي على حرية شعب اخر، وللشعب المعتدى عليه أن يرد العدوان، ويسترد حريته بكل السبل الممكنة، قال تعالى: {وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ *} [الشورى: 41].

وعلى المجتمع الدولي مساندة كلِّ شعب يجاهد من أجل حريته، ويتحمل المسلمون في هذا واجباً، ولا ترخّص فيه، قال تعالى: {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ} [الحج: 41].

3 . حق المساواة:

قال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13]. فالناسُ جميعاً سواسية أمام الشريعة، قال رسول الله (ص): «لا فضلَ لعربيٍّ على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى»[(170)]، ولا تمايز بين الأفراد في تطبيقها عليهم، قال رسول الله (ص): «لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمّدٍ سرقت لقطعتُ يدها»[(171)].

والناس كلهم في القيمة الإنسانية سواءٌ، قال رسول الله (ص): «كلكم لادم، وادم من تراب»[(172)]، وإنما يتفاضلون بحسب عملهم، قال تعالى: {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا} [الأحقاف: 19].

وكل فكر، وكل تشريع، وكل وضع يسوّغُ التفرقةَ بين الأفراد على أساس الجنس، أو العرق، أو اللون، أو اللغة، أو الدين، هو مصادرةٌ مباشرةٌ لهذا المبدأ الإسلامي العام[(173)].

ولكل فرد حق في الانتفاع بالموارد المادية للمجتمع من خلال فرصة عمل متكافئة لفرص غيره، قال تعالى: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ} [الملك: 15]، ولا يجوز التفرقة بين الأفراد كماً وكيفاً، قال تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ *وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ *} [الزلزلة: 7 . 8].

4 . حق العدالة:

من حق كلِّ فردٍ أن يتحاكم إلى الشريعة، وأن يتحاكم إليها دون سواها، قال تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء: 59].

وقال تعالى: {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} [المائدة: 49].

ومن حق الفرد أن يدفع عن نفسه ما يلحقه من ظلم، قال تعالى: {لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ} [النساء: 148]، ومن واجبه أن يدفع الظلم عن غيره بما يملك.

ومن حق الفرد أن يلجأ إلى سلطةٍ شرعيةٍ تحميه وتنصفه وتدفع عنه، ما لحقه من ضرر أو ظلم، وعلى الحاكم المسلم أن يقيمَ هذه السلطة، ويوفّر لها الضمانات الكفيلة بحيدتها واستقلالها[(174)].

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا *} [النساء: 58]. وقال تعالى: {يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ *}[ص: 26].

5 . حق الفرد في محاكمة عادلة:

البراءةُ هي الأصل، وهو مستصحَبٌ ومستمرٌّ حتى مع اتّهام الشخص ما لم تثبتْ إدانتُه أمامَ محكمةٍ عادلةٍ إدانةً نهائيةً، ولا تجريمَ إلا بنصٍّ، قال تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً *} [الإسراء: 15].

ولا يحكم بتجريم شخص، ولا يعاقب على جرم إلاّ بعد ثبوت ارتكابه له بأدلة لا تقبل المراجعة أمام محكمة ذات طبيعة قضائية كاملة، قال تعالى:{جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا} [الحجرات: 6]، وقال تعالى: {وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا *} [النجم: 28].

ولا يجوز بحال تجاوزُ العقوبةِ التي قدرتها الشريعةُ للجريمةِ، قال تعالى: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا} [البقرة: 229].

ولا يؤخذُ إنسانٌ بجريرةِ غيره، قال تعالى: {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الإسراء: 15]، وكل إنسان مستقل بمسؤوليته عن أفعاله، قال تعالى: {كُلُّ امْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ *} [الطور: 21].

ولا يجوزُ بحال أن تمتدَّ المسألةُ إلى ذويه من أهل وأقارب أو أتباع وأصدقاء، قال تعالى: {قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ *} [يوسف: 79] [(175)].

6 . حق الحماية من تعسف السلطة:

لكل فردٍ الحق في حمايته من تعسف السلطات معه، ولا يجوزُ مطالبته بتقديم تفسيرٍ لعمل من أعماله، أو وضعٍ من أوضاعه، ولا توجيه إتهام له إلا بناء على قرائن قوية تدل على تورطه فيما يوجه إليه، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْمًا مُبِيناً *} [الأحزاب: 58].

7 . حق الفرد في حماية عرضه وسمعته:

قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ} [الحجرات: 11].

عِرضُ الفرد وسمعته حرمةٌ لا يجوزُ انتهاكها، قال رسول الله (ص): «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرامٌ كحرمةِ يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»[(176)].

ويحرم تتبع عوراته، ومحاولة النيل من شخصيته، وكيانه الأدبي. قالتعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ *} [الحجرات: 12].

8 . حق اللجوء:

من حقّ كلّ مسلم مضطهَدٍ أو مظلومٍ أن يلجأ إلى حيثُ يأمن، في نطاق دار الإسلام، وهو حقٌّ يكفُلُه الإسلامُ لكلّ مضطهَدٍ، أيّاً كانت جنسيته، أو عقيدته، أو لونه، ويتحمل المسلمون واجب توفير الأمن له متى لجأ إليهم.

قال تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ} [التوبة: 6].

وبيت الله الحرام . بمكة المشرفة . هو مثابةٌ وأمنٌ للناس جميعاً، لا يُصَدُّ عنه مسلم، قال تعالى: {وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً} [آل عمران: 97]، وقال تعالى: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً} [البقرة: 125] [(177)].

9 . حقوق الأقليات:

الأوضاع الدينية للأقليات يحكمُها المبدأُ القراني العام، قال تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: 256].

والأوضاع المدنيةُ والأحوال الشخصية للأقليات، تحكمُها شريعةُ الإسلام إن هم تحاكموا إلينا، قال تعالى: {فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ}[المائدة: 42]، فإن لم يتحاكموا إلينا كان عليهم أن يتحاكموا إلى شرائعهم ما دامت تنتمي . عندهم . لأصل إلهي: {وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ}[المائدة: 43]. وقال تعالى: {وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ}[المائدة: 47].

10 . حق المشاركة في الحياة العامة:

من حق كل فرد في الأمة أن يعلمَ بما يجري في حياتها، من شؤون تتصل بالمصلحة العامة للجماعة، وعليه أن يُسْهِمَ فيها بقدر ما تتبع له قدرته ومواهبه إعمالاً لمبدأ الشورى، قال تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} [الشورى: 28]، وكل فرد في الأمة أهلٌ لتولي المناصب، والوظائف العامة، متى توافرت فيه شرائطها الشرعية، ولا تسقط هذه الأهليةُ أو تنقصُ تحت أيِّ اعتبار عنصري أو طبقي، قال رسول الله (ص): «المسلمونَ تتكافأ دماؤهم، وهم يدٌ على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم»[(178)].

والشورى أساسُ العلاقة بين الحاكم والأمة، ومن حق الأمة أن تختار حكّامها بإرادتها الحرة، تطبيقاً لهذا المبدأ، ولها الحقُّ في محاسبتهم وفي عزلهم إذا حادوا عن الشريعة، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «إنِّي وليتُ عليكم، ولستُ بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإنْ أسأتُ فقوّموني، الصدقُ أمانةٌ، والكذبُ خيانةٌ... أطيعوني ما أطعتُ اللهَ ورسولَه، فإذا عصيتُ اللهَ ورسولَه، فلا طاعة لي عليكم» [(179)].

11 . حق الدعوة والبلاغ:

لكلِّ فردٍ الحقُّ في أن يشاركَ مع غيره أو منفرداً في حياة المجتمع دينياً، واجتماعياً، وثقافياً، وسياسياً... إلخ وأن ينشِأئَ من المؤسسات، ويصنعَ من الوسائل ما هو ضروري لممارسة هذا الحق، قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} [يوسف: 108].

ومن حق كلِّ فرد بل ومن واجبه أن يأمرَ بالمعروف، وينهى عن المنكر، وأن يطالِبَ المجتمعَ بإقامة المؤسسات التي تهيأى للأفراد الوفاء بهذه المسؤولية، تعاوناً على البر والتقوى، قال تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}[ال عمران: 104][(180)]، وحق الإنسان في إنكار المنكر، ورفض الفساد، ومقاومة الظلم البين، والكفر البواح، قرره القران بقوله

تعالى: {وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنْصَرُونَ *} [هود: 13]. وقال تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ *كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ *} [المائدة: 78 . 79]، كيف لا وقد قيّدَ الله الطاعة للرسول (ص) نفسه بالمعروف، فقال في بيعة النساء: {وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ} [الممتحنة: 12]. وقال على لسان نبيِّ الله صالح: {وَلاَ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ *الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ *} [الشعراء: 151 . 152].

بل إنّ الإسلام قد ارتقى بهذه الأمور من مرتبة الحقوق إلى مرتبة الفرائض والواجبات، لأنّ ما كان من الحقوق يمكِنُ لصاحبه أن يتنازل عنه، أمّا الواجبات المفروضة فلا يجوز التنازلُ عنها [(181)].

12 . الحقوق الاقتصادية:

الطبيعة . بثرواتها جميعاً . ملكٌ لله تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *} [المائدة: 120]، وهي عطاء منه للبشر، منحهم حق الانتفاع بها، قال تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ} [الجاثية: 13].

وحرم عليهم إفسادها وتدميرها، قال تعالى: {وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ *} [الشعراء: 183].

ولا يجوزُ لأحدٍ أن يحرمَ اخر أو يعتدي على حقه في الانتفاع بما في الطبيعة من مصادر الرزق: {وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا *} [الإسراء: 20].

فلكل إنسان الحق في العمل، والمشي في مناكب الأرض سعياً لكسب رزقه، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ *} [الملك: 15].

حتى في يوم الجمعة قال تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} [الجمعة: 10].

وفي الحج قال تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ} [البقرة: 198].

ولكل إنسان الحق في أن يتمتّع بثمرة ما كسب من حلال عن طريق التملك، رجلاً كان أو امرأة: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ} [النساء: 32] [(182)].

13 . حق حماية الملكية:

لا يجوزُ انتزاعُ ملكيةٍ نشأت عن كسب حلال إلا للمصلحة العامة، قال تعالى: {وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ} [البقرة: 188]. ومع تعويض عادل لصاحبها، قال رسول الله (ص): «مَنْ أخذَ من الأرضِ شيئاً بغيرِ حقِّه خُسِفَ به يوم القيامة إلى سبع أرضين»[(183)]. وحرمة الملكية العامة أعظم، وعقوبة الاعتداء عليها أشد، لأنّه عدوان على المجتمع كله، وخيانة للأمة بأسرها، قال رسول الله (ص): «مَنِ استعملناه على عملٍ فرزقناه رِزقاً، فما أخذَ بعدَ ذلكَ فهو غلولٌ» [(184)].

14 . حق العامل:

العملُ شعارٌ رفعه الإسلام لمجتمعه، قال تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا} [التوبة: 105]. وإذا كان حَقُّ العمل الاتقانُ، قال رسول الله (ص): «إنّ اللهَ يحبُّ إذا عملَ أحدُكم عملاً أن يتقنه»[(185)].

حق العامل:

أ . أن يوفّى أجره المكافأى لجهده دون حيف عليه، أو مماطلة له، قال رسول الله (ص): «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفَّ عرقه»[(186)].

ب . أن توفر له حياة كريمة تتناسب مع ما يبذله من جهد وعرق.

ج . أن يُمْنَحَ ما هو جديرٌ به من تكريم المجتمع له، قال تعالى: {وَقُلِاعْمَلُواْفَسَيَرَىاللّهُعَمَلَكُمْوَرَسُولُهُوَالْمُؤْمِنُونَ{فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: 105].

د . أن يجد الحماية؛ التي تحول دون غبنه، واستغلال ظروفه[(187)].

15 . حق الفرد في كفايته من مقومات الحياة:

من حق الفرد أن ينال كفايته من ضرورات الحياة، من طعام، وشراب، وملبس، ومسكن.. ومما يلزم لصحة بدنه من رعاية، وما يلزم لصحة روحه، وعقله من علمٍ، ومعرفةٍ، وثقافةٍ، في نطاق ما تسمح به موارد الأمة، ويمتد واجبُ الأمة ليشمل ما لا يستطيع الفرد أن يستقلَّ هو بتوفيره لنفسه من ذلك[(188)]. قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: 10]. وقال رسول الله (ص): «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله»[(189)].

قال ابن حزم تعليقاً على هذا الحديث: مَنْ تركه يجوع ويعري وهو قادر على إطعامه وكسوته فقد أسلمه[(190)]. إنَّ الأخوة ليست مجرّد عاطفة، ولكنّها عقد تكافل وتعاون وتازر، وهو عقد طرفه الأساسي الأمة ممثلة في مستويات متراتبة تبدأ بالأسرةِ، حيث أوجب على أفرادها التكافل في الإرث والوصية والنفقة، قال تعالى: {وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ} [الأنفال: 75]. ثم الجيرة؛ قال تعالى: {وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ} [النساء: 36]، ثم يأتي أهلُ الحي، ثم المجتمع كله عن طريق الزكاةِ، وهي فريضةٌ ملزِمة، ثم النفقة التطوعية [(191)].

16 . تأكيد حقوق الضعفاء:

قرر القران الكريم حقوقَ الإنسان عامةً، ولكنّه عُني عنايةً فائقةً بحقوق الضعفاء من بني الإنسان خاصة خيفةَ أن يجورَ عليهم الأقوياء، أو يهملَ أمرَهم الحكامُ والمسؤولون، نجد مظاهر هذه العناية في سور القران الكريم مكيّه

ومدنيّه، كقوله تعالى: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ *} [الضحى: 9]، وفي سورة المدثر يتحدّث عن المجرمين في سقر، وأسباب دخولهم فيها، فيقول على لسان أصحاب اليمين حيث يسألونهم: {مَا

سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ *قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ *وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ *}، وهاتان السورتان الضحى والمدثر من أوائل ما نزل، وفي سورة الماعون {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ *فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ *وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ *}

فلم يكتفِ بإيجاب إطعام المسكين، بل أوجبَ الحضَّ على ذلك، والدعوة إليه.

وفي سورة الحاقة، علل القرانُ دخول صاحب الشمال الجحيم بقوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ *وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ *}، فقرن الحضَّ على الإيمان بالله بترك الحض على إطعام المسكين.

وفي سورة الفجر خاطب القران المجتمع الجاهلي المتظالم بقوله: {كَلاَّ بَلْ لاَ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ *ولاَ تَحَآضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ *}

وأمر بالمحافظة على مال اليتيم إن كان له مال، إذ جعل ذلك من وصاياه العشر في سورة [الأنعام: 152]: {وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ}

وفي سورة النساء وضع القواعدَ للمحافظة على مال اليتيم، وحسن استغلاله، وتنميته بالمعروف في جملة من الايات انتهت بوعيدٍ شديد، قال تعالى: {إِنَّالَّذِينَيَأْكُلُونَأَمْوَالَالْيَتَامَىظُلْمًاإِنَّمَايَأْكُلُونَفِيبُطُونِهِمْنَارًاوَسَيَصْلَوْنَسَعِيرًا}

وقد جعل القران للمساكين واليتامى إذا كانوا فقراء حظاً في أموال الدولة من الزكاة والفيء وخمس الغنيمة، قال تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ}[التوبة: 60]. وقال تعالى: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ}[الحشر: 7].

وإنما جعلنا الزكاة من أموال الدولة، لأنّ الله أمرَ وليَّ الأمر بأخذها، فقال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة: 103]. فإذا لم تتول الدولة أخذها، كان على أربابِ الأموال أداؤها إلى الفقراء، يبحثون هم عن الفقراء، ولا يبحث الفقراء عنهم.

كما جعل لهم حقاً في أموال أقاربهم وسائر الأمة بعد ذلك، قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ

وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ} [البقرة: 177]. قال تعالى: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ} [الإسراء: 26]. وقال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ} [البقرة: 215].

وأهم من ذلك كله: أنّ القران شرع القتال، وسلَّ السيوف للدفاع عن المستضعفين في الأرض، بل حرّض أبلغ التحريض على القتال ذوداً عن حرماتهم، ودرءاً للظلم عنهم، قال تعالى: {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا *وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا *} {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا *}[النساء: 74 . 75].

هذه بعض الحقوق التي قررها القران للإنسان ولا نقول أعلنها، إذ كان الأمر أكبر من إعلان، إنّه بلاغ من رب الناس للناس، أسست عليه عقيدة، ونهضت على أساسه ثقافة وتربية، وبني عليه فقه وتشريع، وقامت عليه دولة وأمة، وامتدت به حضارة وتاريخ[(192)].

عاشراً ـ تكوين الأسرة الصالحة:

ومن المقاصد التي هدف إليها القران الكريم: تكوينُ الأسرة الصالحة، التي هي ركيزةُ المجتمعِ الصالحِ، ونواةُ الأمة الصالحة[(193)].

ولا ريب أنّ أساسَ تكوين الأسرة هو الزواجُ الذي يربط بين الرجل والمرأة رباطاً شرعياً وثيقَ العُرا، مكين البيان، مؤسساً على تقوى من الله ورضوان، وقد اعتبر القران هذا الزواج ايةً من ايات الله، مثل خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان من تراب، وذلك في قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *}[الروم: 21].

فأشار إلى الدعائم الثلاثة التي تقوم عليها الحياة الزوجية، كما يرشدُ إليها القران، وهي: السكون، والمودة، والرحمة، ويعني بالسكون: سكون النفس من اضطرابها وثورانها توقاً إلى الجنس الاخر،

بالإشباع المشروع في ظلّ مرضاة الله، فلا يعرفُ الإسلامُ الأسرةَ إلا بين رجل وامرأة، منذ الأسرة البشرية الأولى من ادم وزوجه {اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} [البقرة: 35].

لا يعرف ما يدعو إليه المتحللون من الغربيين اليوم من الأسرة الوحيدة الجنس، بحيث يتزوج الرجل الرجل، والمرأة المرأة، وهذا أمرٌ ضدّ الفطرة، وضدّ الأخلاق، وضدّ الشرائع، وهو للأسف ما حاول مؤتمر السكان في القاهرة «1994م» ومؤتمر المرأة في بكين أن يفرضاه على العالم[(194)].

وبهذا يقاوم القران الكريم نزعتين منحرفتين:

أولهما: نزعة الرهبانية المنافية للفطرة، التي تحرّم الزواجَ، وتنظر إلى الغريزة الجنسية وكأنها رجسٌ من عمل الشيطان، وتنفر من ظل المرأة، ولو كانت أختاً أو أماً، لأنّها أُحبولةُ الشيطان.

وثانيها: نزعة الإباحية التي تطلق العنانَ للغريزة، بلا ضابط ولا رابط، وتنادي بحرية الاستمتاع الجنسي بين الرجل والمرأة، دون ارتباط بمسؤولية شرعية، تتكون من خلالها حياة زوجية ذات هدف، تنشأ منها أسرة مترابطة، تقوم على أمومة حانية، وأبوة راعية، وبنوة بارّة، وأخوة عاطفة، وتتربى في ظلها مشاعرُ المحبة، وعواطف الإيثار والتعاون[(195)].

وقد استهدف الشارع عِدّةَ مقاصد من تكوين الأسرة، منها:

1 . حفظُ النسل:

وتحقيقاً لهذا المقَصد قصرَ الإسلامُ الزواجَ المشروع على ما يكون بين ذكر وأنثى، وحرّم كلَّ صور اللقاء خارجَ الزواج المشروع، كما حرّم العلاقات الشاذة التي لا تؤدي إلى الإنجاب، وفي هذا تعميرٌ للأرض، وتواصلٌ للأجيال، قال الله جل شأنه: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود: 61][(196)].

وقال تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً} [النحل: 72].

وكان من دعاء عباد الرحمن: {رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا *} [الفرقان: 74].

وقال الخليل إبراهيم: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ *فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ *} [الصافات: 100 . 101].

وقال زكريا عليه السلام: {فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا *} [مريم: 5 . 6].

فجاء الجواب الإلهي: {يَازَكَرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا *} [مريم: 7].

2 . تحقيق السكن والمودة والرحمة:

وشرع الله أحكاماً واداباً للمعاشرة بالمعروف بين الزوجين، حتى لا تنحصرَ العلاقة بين الزوجين في صورة جسدية بحتة، قال الله تعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء: 19].

والمعروف هنا: ما يقره العرف السليم، واعتاده أهل الاعتدال والاستقامة من الناس، قال تعالى: {أُحِلَّلَكُمْلَيْلَةَالصِّيَامِالرَّفَثُإِلَىنِسَآئِكُمْهُنَّلِبَاسٌلَّكُمْوَأَنتُمْلِبَاسٌلَّهُنَّ} [البقرة 187]، وإنما عبر عن هذه العلاقة باللباس، لما توحي به هذه الكلمةُ من الزينة والستر واللصوق والدفء، قال تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} [آل عمران: 195]. ومعنى : أنّ المرأة من {بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ}، والرجل من المرأة، فلا خصومةَ ولا تناقضَ، بل تكاملٌ وتناسقٌ وتعاونٌ[(197)].

3 . حفظ النسب:

ولهذا المقصد أبطل الله تعالى نظامَ التبني، وأمرنا بإرجاع نسب الأولاد بالتبني إلى أنسابهم الحقيقية، قال الله جل شأنه: {وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا *} [الأحزاب: 4 . 5].

وقال رسول الله (ص): «أيّما رجلٍ دعا إلى غير والديه، أو تولّى غير مواليه الذين أعتقوه، فإنّ عليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين إلى يوم القيامة، لا يُقْبَلُ منه صرف[(198)] ولا عدلٌ»[(199)].

ولأجل حفظ النسب حرَّم الإسلام أيضاً الزنى، وشرعت الأحكام الخاصة بالعدة، وعدم كتم ما في الأرحام، وإثبات النسب وجحده، وهي أحكامٌ لها تفصيلها في مظانّها من المراجع الفقهية[(200)].

4 . الإحصان:

يوفّر الزواجُ الشرعيُّ صونَ العفاف، ويحقّقُ الإحصان، ويحفظ الأعراض، ويسدُّ ذرائع الفساد الجنسي بالقضاء على فوضى الإباحية والانحلال[(201)]، وقد اختصّ الإسلامُ بمراعاته للفطرة البشرية، وقبولهم بواقعه، ومحاولة تهذيبها،

والارتقاء بها، لا كبتها وقمعها، قال الله جل شأنه: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ *}[ال عمران: 14]، وهي شهواتٌ مستحبّةٌ مستلذَّة، لكنّها يجب أن توضع في مكانها لا تتعداها، ولا تطغى على ما هو أكرم في الحياة وأعلى[(202)].

والقران الكريم لا يضع أي قيد على الاستمتاع بين المرء وزوجه: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} [البقرة: 223]، ما دام الاستمتاع في موضع الحرث، وفي غير زمن الأذى، قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيْضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ *}[البقرة: 222][(203)].

5 ـ حفظ التدين في الأسرة:

الأسرةُ هي محضن الأفراد، لا برعاية أجسادهم فقط، بل بغرس القيم الدينية والخلقية في نفوسهم، وتبدأ مسؤولية الأسرة في هذا المجال قبل تكوّن الجنين، بحسن اختيار كلٍّ من الزوجين إلى الاخر، وأولوية المعيار الديني والخلقي في هذا الاختيار[(204)]. قال تعالى: {وَلاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ *}[البقرة: 221].

وقال رسول الله (ص): «إذا خطبَ إليكم مَنْ ترضونَ دينَه وخُلُقَهُ فزوّجوه، إلاّ تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريضٌ»[(205)].

وتستمر مسؤوليةُ الأسرةِ بتعليم العقيدة والعبادة والأخلاق لأفراد الأسرة،

وتدريبهم على ممارستها، ومتابعة ذلك حتى بلوغ الأطفال رشدهم، واستقلالهم بالمسؤولية الدينية عن تصرفاتهم[(206)]، قال تعالى: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى *} [طه 132].

وقال جل شأنه عن النبي إسماعيل عليه السلام: {وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا *} [مريم: 55].

وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ *} [التحريم: 6].

الحادي عشر ـ إنصاف المرأة وتحريرها من ظلم الجاهلية:

من أهم ما جاء به القران الكريم هنا إنصافُ المرأة وتحريرُها من ظلم الجاهلية وظلامُها، ومن تحكّم الرجل في مصيرها بغير حق، فكرّم القران المرأة، وأعطاها حقوقها بوصفها إنساناً، وكرّمها بوصفها أنثى، وكرّمها بوصفها بنتاً، وكرّمها بوصفها زوجة، وكرّمها أماً، وكرّمها بوصفها عضواً في المجتمع[(207)].

لقد جاء الإسلامُ وبعضُ الناس ينكرون إنسانية المرأة، واخرون يرتابون فيها، وغيرُهم يعترف بإنسانيتها، ولكنّه يعتبرها مخلوقاً خُلِقَ لخدمة الرجل، فكان من فضل الإسلام أنه كرّمَ المرأة، وأكّد إنسانيتها، وأهليتها للتكليف والمسؤولية والجزاء ودخول الجنة، واعتبرها إنساناً كريماً له كل ما للرجل من حقوق إنسانية؛ لأنّهما فرعان من شجرة واحدة، وأخوان ولدهما أب واحد هو ادم، وأم واحدة هي حواء، فهما متساويان في أصل النشأة، متساويان في الخصائص الإنسانية العامة، متساويان في التكاليف والمسؤولية، متساويان في الجزاء والمصير[(208)]، وفي ذلك يقول القران الكريم: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَ ا مَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا *} [النساء: 1].

وإذا كان الناس ـ كل الناس ـ رجالاً ونساءً، خلقهم ربُّهم من نفس واحدة، وجعل من هذه النفس زوجاً تكملها وتكتمل بها، كما قال في آية أخرى: {وجعل منها زوجها ليسكن إليها} [الأعراف: 2]، وبث في هذه الأسرة الواحدة رجالاً كثيراً ونساءً، كلهم عبادٌ لربٍ واحد، وأولاد لأم واحدة وأب واحد، فالأخوة تجمعهم، ولهذا أمرتُ الآية الناسَ بتقوى الله، ورعاية الرحم الواشجة بينهم: {واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام} [النساء: 1].

والرجل ـ بهذا النص ـ أخٌ المرأة، والمرأة شقيقة الرجل، وفي هذا قال الرسول صصص: ((إنما النساء شقائق الرجال))(عع).

1 ـ في مساواة المرأة للرجل في التكليف والتدين والعبادة:

يقول القرآن الكريم:

{إِنَّالْمُسْلِمِينَوَالْمُسْلِمَاتِوَالْمُؤْمِنِينَوَالْمُؤْمِنَاتِوَالْقَانِتِينَوَالْقَانِتَاتِوَالصَّادِقِينَوَالصَّادِقَاتِوَالصَّابِرِينَوَالصَّابِرَاتِوَالْخَاشِعِينَوَالْخَاشِعَاتِوَالْمُتَصَدِّقِينَوَالْمُتَصَدِّقَاتِوَالصَّائِمِينَوَالصَّائِمَاتِوَالْحَافِظِينَفُرُوجَهُمْوَالْحَافِظَاتِوَالذَّاكِرِينَاللَّهَكَثِيرًاوَالذَّاكِرَاتِأَعَدَّاللَّهُلَهُمْمَغْفِرَةًوَأَجْرًاعَظِيمًا} [الأحزاب: 35].

2 . في التكاليف الدينية الاجتماعية الأساسية:

يسوّي القرآن بين الجنسين بقوله تعالى:

{وَالْمُؤْمِنُونَوَالْمُؤْمِنَاتُبَعْضُهُمْأَوْلِيَاءبَعْضٍيَأْمُرُونَبِالْمَعْرُوفِوَيَنْهَوْنَعَنِالْمُنكَرِوَيُقِيمُونَالصَّلاَةَوَيُؤْتُونَالزَّكَاةَوَيُطِيعُونَاللّهَوَرَسُولَهُأُوْلَئِكَسَيَرْحَمُهُمُاللّهُإِنَّاللّهَعَزِيزٌحَكِيمٌ} [التوبة: 71].

3 . وفي قصة آدم توجَّه التكليف الإلهي إليه وإلى زوجه على السواء:

قال تعالى:

{وَقُلْنَايَاآدَمُاسْكُنْأَنتَوَزَوْجُكَالْجَنَّةَوَكُلاَمِنْهَارَغَداًحَيْثُشِئْتُمَاوَلاَتَقْرَبَاهَذِهِالشَّجَرَةَفَتَكُونَامِنَالْظَّالِمِينَ} [البقرة: 35]. والجديد في هذه القصة . كما ذكرها القرآن . أنَّها نسبت الإغواء إلى الشيطان لا إلى حواء كما فعلت التوراة المحرفة: {فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه} [البقرة: 36].

ولم تنفرد حواء بالأكل من الشجرة ولا كانت البادئة، بل كان الخطأ منهما معاً، كما كان الندمُ والتوبةُ منهما جميعاً: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ *} [الأعراف: 83].

بل في بعض الاياتِ نسبةُ الخطأ إلى ادمَ بالذات وبالأصالة: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا *} [طه: 115]، {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَال يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى *} [طه: 12]. وقال تعالى: {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى *} [طه: 121].

كما نسب إليه التوبة وحده أيضاً: {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى *} [طه: 122]، ممّا يفيدُ أنّه الأصل في المعصيةِ وامرأتُه تبعٌ له.

ومهما يكن الأمر فإنَّ خطيئة حواء لا يحمل تبعتها إلا هي، وبناتها بريئات من إثمها، {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الزمر: 7] {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ *} [البقرة: 134].

4 . وفي مساواة المرأة للرجل في الجزاء:

ودخولُ الجنّة يقول الله تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} [آل عمران: 195]، فنصُّ القران في صراحة على أنَّ الأعمال لا تضيع عند الله، سواء أكان العامل ذكراً أم أنثى، فالجميعُ بعضهم من بعض، من طينة واحدة، وطبيعة واحدة، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *}[النحل: 97]. وقال تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْأُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا *} [النساء: 124].

5 . وفي الحقوق المالية للمرأة:

أبطل الإسلام ما كان عليه كثير من الأمم . عرباً وعجماً . من حرمان النساء من التملك والميراث، أو التضييق عليهنّ في التصرف فيما يملكن، واستبداد الأزواج بأموال المتزوّجات منهنّ، فأثبت لهن حق التملّك بأنواعه وفروعه، وحق التصرف بأنواعه المشروعة، فشرع الوصية والإرث لهنّ كالرجال، وأعطاهنَّ حقّ البيع والشراء والإجارة والهبة والإعارة، والوقف والصدقة والكفالة والحوالة والرهن وغير ذلك من العقود والأعمال، ويتبع ذلك حقوق

الدفاع عن مالها، كالدفاع عن نفسها بالتقاضي وغيره من الأعمال المشروعة[(209)].

6 . المرأة باعتبارها أماً:

لا يعرفُ التاريخ ديناً ولا نظاماً كرَّم المرأة باعتبارها أماً، وأعلى من مكانتها، مثل الإسلام، لقد أكَّدَ الوصيةَ بها، وجعلها تالية للوصية بتوحيد الله وعبادته، وجعل برّها من أصول الفضائل، كما جعل حقّها أوكد من حق الأب لما تحملته من مشاق الحمل والوضع والإرضاع والتربية، وهذا ما يقرره القران، ويكرره في أكثر من سورة، ليثبته في أذهان الأبناء ونفوسهم، وذلك في مثل قوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ *} [لقمان: 14]، وقال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْرًا} [الأحقاف: 15][(210)].

ومن توجيهات القران الكريم أنّه وضع أمام المؤمنين والمؤمنات أمثلة وقدوة حسنة لأمهاتٍ صالحاتٍ، كان لهنَّ أثرٌ ومكانةٌ في تاريخ الإيمان.

ـخ فأم موسى تستجيبُ إلى وحي الله وإلهامه، وتُلقي ولدها وفلذة كبدها في اليمّ، مطمئنة إلى وعد ربها، قال تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ *}[القصص: 7].

ـخ وأم مريم التي نذرت ما في بطنها محرراً لله، خالصاً من كل شرك أو عبودية لغيره، داعية الله أن يتقبل منها نذرَها، قال تعالى: {فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ *} [آل عمران: 35]. فلما كان المولودُ أنثى على غير ما كانت تتوقع، لم يمنعها ذلك من الوفاء بنذرها، سائلة الله أن يحفظها من كل سوء، قال تعالى: {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ *} [آل عمران: 36].

ـخ ومريم ابنة عمران أم المسيح عيسى، جعلها القران ايةً في الطهر، والقنوت لله، والتصديق بكلماته:

{ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ *} [التحريم:12][(211)].

7. المرأة باعتبارها بنتاً:

كان العرب في الجاهلية يتشاءمون بميلاد البنات، ويضيقون به، حتى قال أحد الاباء . وقد بشر بأنَّ زوجه ولدت أنثى .: واللهِ ما هي بنعم الولد، نصرُها بكاءٌ، وبرُّها سرقةٌ. يريد أنها لا تستطيعُ أن تنصر أباها وأهلها إلاّ بالصراخِ والبكاءِ، لا بالقتال والسلاح، ولا أنْ تبرَّهم إلا بأن تأخذ من مالِ زوجها لأهلها.

وكانت التقاليد المتوارثة عندهم تبيحُ للأب أن يئدَ ابنته . يدفنها حية . خشيةً من فقرٍ قد يقع، أو من عارٍ قد تجلبه على قومها حين تكبر، وفي ذلك يقول القران منكراً عليهم، ومقرّعاً لهم: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ *بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ *} [التكوير: 8 . 9].

ويصفُ حالَ الاباء عند ولادة البنات، قال تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ *يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ *} [النحل: 58 . 59].

وكانت بعضُ الشرائع القديمة تعطي الأبَ الحق في بيع ابنته إذا شاء، وبعضها الاخر .كشريعة حمورابي . تجيزُ له أن يسلمَها إلى رجلٍ اخرَ ليقتلها.

جاء الإسلامُ فاعتبر البنتَ كالابن. هبة من الله ونعمة. يهبها لمن يشاء من عباده، قال تعالى: {يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً} {وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ *}[الشورى: 49 . 50].

وبيّنَ القرانُ الكريم في قصصه أنَّ بعض البنات قد تكونُ أعظمَ أثراً، وأخلد ذكراً، من كثيرٍ من الأبناء الذكور، كما في قصة مريم ابنة عمران التي اصطفاها الله وطهرها، واصطفاها على نساء العالمين، وقد كانت أمها عندما حملت بها تتمنّى أن تكون ذكراً يخدِمُ الهيكل، ويكون من الصالحين[(212)]، قال تعالى:

{إذ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ *فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَناً *} [آل عمران: 35 . 37].

وجعل رسول الإسلام (ص) الجنةَ جزاءَ كلِّ أبٍ يُحْسِنُ صحبةَ بناته، ويحرص على تربيتهن وحسن تأديبهن، ورعايةِ حقّ الله فيهن، حتى يبلُغْنَ، أو يموت عنهن، وجعل منزلته بجواره (ص) في دار النعيم المقيم، قال (ص): «مَنْ كانَ له ثلاثُ بناتٍ، فصبر على لأوائهنَّ وضرّائهنَّ وسرّائهنَّ، أدخله الله الجنة برحمتِهِ إيّاهنّ»، فقال رجل: واثنتان يا رسول الله؟ قال: «واثنتان». قال رجل: يا رسول الله، وواحدة؟ قال: «وواحدة»[(213)].

لم تعدْ ولادةُ البنتِ عبئاً يُخاف منه، وطالعُ نحس يُتطيّر به، بل نعمةٌ تُشْكَرُ ورحمةٌ تُرجى، وتُطلب لما وراءها من فضل الله تعالى، وجزيل مثوبته، وبهذا أبطل الإسلام عادة الوأدِ إلى الأبد، وأصبحَ للبنتِ في قلب أبيها مكان عظيم[(214)].

8 . المرأة باعتبارها زوجة:

كانت بعض الديانات والمذاهب تعتبِرُ المرأةَ رجساً من عمل الشيطان، يجب الفرار منه، واللجوء إلى حياة التبتل والرهبنة، وبعضُها الاخر كان يعتبر الزوجة مجرّد الةٍ لمتاع الرجل، أو طاهٍ لطعامه، أو خادم لمنزله، فجاء الإسلام يعلِنُ بطلان الرهبانية، وينهى عن التبتل، ويحثّ على الزواج، ويعتبر الزوجية اية من ايات الله في الكون، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *} [الروم: 21].

وقرّرَ الإسلام للزوجة حقوقاً على زوجها، ولم يجعلْها مجرّد حبر على ورق، بل جعل عليها أكثرَ من حافظٍ ورقيبٍ، من إيمان المسلم وتقواه أولاً، ومن ضمير المجتمع ويقظته ثانياً، ومن حكم الشرع وإلزامه ثالثاً.

وأول هذه الحقوق: الصداق: الذي أوجبه الله للمرأة على الرجل إشعاراً منه برغبته فيها، وإرادته لها، قال تعالى: {وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا *} [النساء: 4].

فأينَ هذا من المرأةِ التي نجدُها في مدنيات أخرى، فتدفع هي للرجل بعض مالها، مع أنَّ فطرة الله جعلت المرأةَ مطلوبةً لا طالبة؟

وثاني هذه الحقوق: النفقة، فالرجل مكلّفٌ بتوفير المأكل والملبس والمسكن بالمعروف، والمعروف: هو ما يتعارف عليه أهل الدين والفضل من الناس بلا إسراف ولا تقتير، قال تعالى: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا} [الطلاق: 7].

وثالث الحقوق: المعاشرة بالمعروف، قال تعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء: 19]. وهو حق جامع يتضمن إحسان المعاملة في كلِّ علاقة بين المرء وزوجه، من حسن الخلق، ولين الجانب، وطيب الكلام، وبشاشة الوجه، وتطييب نفسها بالممازحة، والترفيه عنها.

وفي مقابل هذه الحقوق أوجبَ عليها طاعةَ الزوج في غير معصيةٍ، والمحافظة على ماله، فلا تنفِقُ منه إلا بإذنه، وعلى بيته، فلا تدخِلُ فيه أحداً إلا برضاه، ولو كان من أهلها.

وهذه الواجبات ليست كثيرةً ولا ظالمةً في مقابل ما على الرجل من حقوق، فمن المقرر أنَّ كل حق يقابله واجب، ومن عدل الإسلام أنه لم يجعل الواجبات على المرأة وحدَها، ولا على الرجل وحده، بل قال تعالى: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [البقرة: 228]. فللنساء من الحقوق مثل ما عليهنّ من الواجبات.

ومن جميل ما يروى أنّ ابن عباس رضي الله عنه وقف أمام المراة يصلِحُ هيئته، ويُعَدِّلُ من زينته، فلما سئل في ذلك قال: أتزيّنُ لامرأتي كما تتزيّنُ لي،

ثم تلا الاية الكريمة: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [البقرة: 228]. وهذا من عميق فقه الصحابة للقران الكريم[(215)].

ولم يهدر الإسلامُ شخصية المرأة بزوجها، ولم يذبها في شخصية زوجها، كما هو الشأن في التقاليد الغربية التي تجعل المرأة تابعة للرجل، فلا تُعرف باسمها ونسبها ولقبها العائلي، بل بأنها زوجة فلان.
أما الإسلام فقد أبقى للمرأة شخصيتها المستقلة المتميزة، ولهذا عرفنا زوجات الرسول (ص) بأسمائهنّ وأنسابهنّ، فخديجة بنت خويلد، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وميمونة بنت الحارث، وصفية بنت حُيَي، وكان أبوها يهودياً محارباً للرسول (ص).
كما أنّ شخصيتها المدنية لا تنقص بالزواج، ولا تفقد أهليتها للعقود والمعاملات وسائر التصرفات، فلها أن تبيع وتشتري، وتؤجر أملاكها، وتستأجر، وتهب من مالها وتتصدق وتوكل وتخاصم.
وهذا أمرٌ لم تصل إليه المرأة الغربية إلاّ حديثاً، ولازالت في بعضِ البلاد مقيَّدةً إلى حدٍّ ما بإرادة الزوج[(216)].

9 ـ المحافظة على أنوثة المرأة:

الإسلامُ يحافظ على أنوثة المرأة، حتى تظلَّ ينبوعاً لعواطف الحنان والرقة والجمال، ولهذا أحلّ لها بعضَ ما حُرِّم على الرجال، بما تقتضيه طبيعة الأنثى ووظيفتها، كالتحلّي بالذهب، ولبس الحرير الخالص، قال رسول الله (ص): «إنّ هذين حرامٌ على ذكور أمتي، حل لإناثهم»[(217)].
كما أنّه حرّم عليها كل ما يجافي هذه الأنوثة، من التشبه بالرجال في الزي والحركة والسلوك وغيرها، فنهى أن تلبَسَ المرأةُ لبسة الرجل، كما نهى الرجل أن يلبَسَ لبسة المرأة، ولعن المتشبّهات من النساء بالرجال، مثلما لعَن
المتشبهين من الرجال بالنساء، قال رسول الله (ص): «ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة، ولا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ: العاقُّ لوالديه، والمرأةُ المترجلةُ[(218)]، والدّيوثُ»[(219)].
والإسلام يحمي هذه الأنوثة، ويرعي ضعفها، فيجعلها أبداً في ظلِّ رجل مكفولةَ النفقات، مكفيةَ الحاجات، فهي في كنف أبيها أو زوجها أو أولادها أو إخوتها يجب عليهم نفقتها، وفق شريعة الإسلام، فلا تضطرها الحاجة إلى الخوض في لجج الحياة وصراعها، ومزاحمة الرجال بالمناكب.
والإسلامُ يحافِظُ على خُلُقها وحيائها، ويحرص على سمعتها وكرامتها، ويصون عفافها من خواطر السوء، وألسنة السوء؛ فضلاً عن أيدي السوء أن تمتدَّ إليها: ولهذا يوجِبُ الإسلام عليها:

أ ـ الغضُّ من بصرها والمحافظة على عفتها ونظافتها:

قال تعالى: {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} [النور: 31].

ب ـ الاحتشام والتستر في لباسها وزينتها دون إعناتٍ لها، ولا تضييقٍ عليها:

قال تعالى: {ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن} [النور: 31].

ج ـ ألا تبدي زينتها الخفية ـ كالشعر والعنق والنحر والذراعين والساقين ـ إلا لزوجها ومحارمها الذين يشقُّ عليها أن تستر منهم استتارها من الأجانب:

قال تعالى: {ولاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ} [النور: 31].

د ـ أن تتوقر في مشيها وكلامها: قال تعالى: {وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ} [النور: 31]. وقال:

{فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قَوْلاً مَعْرُوفًا *} [الأحزاب: 32] فليست ممنوعة من الكلام، وليس صوتها عورة، بل هي مأمورةٌ، أن تقول قولاً معروفاً[(220)].

هـ أن تتجنب كل ما يجذب الانتباه إليها، ويغري بها، من تبرج الجاهلية الأولى أو الأخيرة.

فهذا ليس من خلق المرأة العفيفة قال رسول الله (ص): «أيُّما امرأةٍ استعطرتْ، ثم خرجتْ من بيتِهَا ليشمَّ الناسُ ريحها فهي زانية»[(221)].

و ـ أن تمتنع عن الخلوة بأي رجلٍ ليس زوجها ولا محرْماً لها:

صوناً لنفسها ونفسه من هواجس الإثم، ولسمعتها من ألسنة السوء، قال رسول الله (ص): «لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا مع ذي محرم»[(222)].

ز ـ ألا تختلط بمجتمع الرجال الأجانب إلا لحاجة داعية، ومصلحة معتبرة، وبالقدر اللازم:

كالصلاة في المسجد، وطلب العلم، والتعاون على البر والتقوى، بحيث لا تُحْرَمُ المرأةُ من المشاركة في خدمة مجتمعها، ولا تنسى الحدود الشرعية في لقاء الرجال.

إنَّ الإسلامَ بهذه الأحكام يحمي أنوثةَ المرأة من أنياب المفترسين من ناحية، ويحفظ عليها حياءها وعفافها بالبعد عن عوامل الانحراف والتضليل من ناحية ثانية، ويصونُ عرضها من ألسنة المفترين والمرجفين من ناحية ثالثة، وهو ـ مع هذا كله ـ يحافِظُ على نفسها وأعصابها من التوتر والقلق، ومن الهزّات والاضطرابات، نتيجة لجموح الخيال، وانشغال القلب، وتوزع عواطفه بين شتى المثيرات

والمهيّجات وهو أيضاً . بهذا الأحكام والتشريعات . يحمي الرجل من عوامل الانحراف والقلق، ويحمي المجتمع كلّه من عوامل السقوط والانحلال[(223)].

الثاني عشر . بناء الأمة الشهيدة على الناس:

من أهداف الإسلام الأساسية: تكوين أُمةٍ متميزة، ولقد استطاعَ النبيُّ (ص) تحقيق ذلك وفق رؤية واضحة، مبنية على عقيدة راسخة، وشريعة حاكمة، وتخلّص العربُ من الفرقة، والشتات، والعصبيات القبلية، والنعرات الجاهلية، وانتقلوا نقلةً كبيرةً في عالم الفكر، وعالم الشعور، وعالم الواقع، وأصبحت تلك القبائل أمةً واحدةً، تعبد إلهاً واحداً، وتخضع لكتاب واحدٍ، وتنقاد لزعامة الرسول (ص) المبيّن والموضح لهم التعاليم الإلهية، وأصبحت هذه الأمةُ لا تقومُ على رابطة عرقية ولا لونية ولا إقليمية ولا طبقية، بل هي أمةُ عقيدةٍ ورسالةٍ قبل كل شيء.

هي أمة الإسلام أو أمة المسلمين كما قال الله تعالى: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ}[الحج: 78][(224)][(225)].

فقد أخرج الله الأمة المسلمة . التي قادها النبيُّ (ص) . لتؤدي دوراً كونياً كبيراً، ولتحمل منهجاً إلهياً عظيماً، ولتنشىء في الأرض واقعاً فريداً، ونظاماً جديداً، وهذا الدور الكبير يقتضي التجرد والعطاء، والتميز والتماسك، وبتعبير مختصر يقتضي أن تكونَ طبيعةُ هذه الأمة من العظمة؛ بحيث تسامي عظمة الدور الذي قدّره الله لها في هذه الحياة، وتسامي المكانة التي أعدها الله لها في الاخرة[(226)].

ولم تنل هذه الأمةُ هذه المكانة السامقة بين الأمم مصادفةً ولا جزافاً ولا محاباة، فالله سبحانه وتعالى منزَّه عن أن يكون في ملكه شيء من ذلك، فكل شيء عنده بمقدار، وهو يخلقُ ما يشاء ويختار، وهو سبحانه عندما أخبر أنَّ هذه الأمة خيرُ أمة أخرجت للناس، بين وجه ذلك وعلته في الاية نفسها، قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: 110]، فبهذه الأمور الثلاثة العظيمة القدر كانت هذه الأمةُ خيرَ أمة أخرجت للناس.

على أنَّ هذه الأمور ليست هي كل ما كانت به هذه الأمة خير أمة؛ إذ هناك أمورٌ وخلالٌ كثيرة أهلت هذه الأمة لهذه الخيرية، ولكنّ هذه الأمور الثلاثة أهمها وأعظمها، إذ لا تدوم ولا تستمرّ هذه الخيرية، ولا تحفظ إلا بإقامتها وأدائها، فإن فقدت هذه الأمورَ في جيل من الأجيال هذه الأمةُ لم تكن حَرِيَّةً بهذه الخيرية التي حظيت بها[(227)].

أوصاف الأمة الإسلامية في القران الكريم:

أبرزُ ما يميّزُ هذه الأمة عن غيرها من الأمم أوصاف أربعة:

1 . الربانية:

ربانية المصدر، وربانية الوجهة، فهي أمةٌ أنشأها وحي الله تعالى، وتعهدتها تعاليمه وأحكامه، وهي من اكتمل لها دينها، وتمّت به نعمة الله عليها، كما قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً} [المائدة: 3].

فإنّ تعالى هو صانع هذه الأمة، ولهذا نجده يقول في القران الكريم: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة: 143]، فهذا التعبير يفيد أنّ الله هو جاعل هذه {جَعَلْنَاكُمْ}، ومستخدمها، وصانعها. ومثل ذلك قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: 110]، فتعبير (أُخْرِجَتْ) يدل على أنّ هناك مُخرِجاً أخرج هذه الأمة، فهي لم تظهر اعتباطاً، ولم تكن نباتاً برياً ينبت وحده دون أن يزرعه زارع، بل هو نباتٌ مقصودٌ متعهِّد بالعناية والرعاية، والذي أخرج هذه الأمة، وزرعها، وهيأها لرسالتها هو الله جل شأنه.

فهي أمةٌ مصدرها رباني، ووجهتُها ربانية كذلك؛ لأنّها تعيش لله، ولعبادة الله، ولتحقيق منهج الله في أرض الله، فهي من الله وإلى الله، كما قال تعالى لرسوله (ص): {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *لاَ شَرِيكَ لَهُ *} [الأنعام: 162 . 163].

2 . الوسطية:

الوسطية التي تؤهّلُ هذه الأمة للشهادة على الناس، وثبوتها مكان الأستاذية للبشرية، وفيها جاءت الاية الكريمة: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143].

ومن وسطية شاملة جامعة، وسطية في الاعتقاد والتصور، ووسطية في الشعائر والتعبد، ووسطية في الأخلاق والسلوك، ووسطية في النظم والتشريع، ووسطية في الأفكار والمشاعر، ووسطية بين الروحية والمادية، بين المثالية والواقعية، بين العقلانية والوجدانية، بين الفردية والجماعية، بين الثبات والتطور[(228)].

إنّها الأمةُ التي تمثل «الصراط المستقيم» بين السبل المتعرجة والملتوية، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، لا صراط المغضوب عليهم ولا الضالين.

3 . الدعوة:

هي أمةُ دعوةٍ ورسالةٍ، وليست أمة منكفئة عن نفسها تحتكر رسالة الحقّ والخير والهداية لذاتها، ولا تعمل على نشرها في الناس، بل الدعوةُ فريضةٌ عليها، والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإيمان بالله أساسُ تفضيلها على كل الأمم.

إنَّ رسالةَ الإسلامِ رسالةٌ عالميةٌ، رسالةٌ لكلِّ الأجناس، ولكلِّ الألوان، ولكل الأقاليم، ولكل الشعوب، ولكل اللغات. قال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا *} [الفرقان: 1]. وقال تعالى: {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: 158].

4 . الوحدة:

الأمةُ التي يريدها الإسلام أمةُ الوحدة، وإن تكونت من عروق وألوان

وطبقات، فقد صهرها الإسلام جميعاً في بوتقته، وأذاب الفوارق بينها، وربطها بالعروة الوثقى لا انفصام لها. قال تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ *} [الأنبياء: 92]. وقال تعالى: {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ *} [المؤمنون: 52].

ولهذا لا يجوزُ أن نقول في تعبيرنا: الأمم الإسلامية، بل الأمة الإسلامية، فهي أمة واحدة كما أمر الله، وليست أمماً متفرقة كما أراد الاستعمار، وهي أمة ذات شعوب، كما قال تعالى: {وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} [الحجرات: 13]، فلا بأس أن نقول: «الشعوب الإسلامية» بدل «الأمم الإسلامية»[(229)].

ومن المفيد هنا أنْ ننبِّه على قضية ذاتِ شأن، وهي: أنَّ الإيمان بالأمة المؤسسة على عقيدة الإسلام وأخوة الإيمان، والتي تضمُّ جميع المسلمين في رحابها حيث كانوا؛ لا ينفي أن هناك خصوصيات

معينة لكلِّ قوم يعتزون بها، ويحافظون عليها، ولا يُفرِّطون فيها، ولا مانعَ من ذلك إذا لم تتحول إلى عصبية عرقية تقاوم إخوة الإسلام، أو إلى نزعة أنانية انفصالية تهدِّدُ وحدة دولة الإسلام.

ولقد ترك رسول الله (ص) وأصحابه من بعده القبائل تقاتل تحت راياتها الخاصة في ظل القيادة الإسلامية العامة، ليكون ذلك مصدراً إضافياً لحماسهم وإقدامهم؛ حتّى لا يجلبوا العار على أقوامهم وعشائرهم.

إنّ حبَّ الرجل لقومه وعشيرته، ورغبته في جلب الخير لهم، ودفع الشرِّ عنهم نزعةٌ فطريةٌ لا غبار عليها، ولا خطرَ فيها، كما لا خطرَ في حبه لأسرته، واهتمامه بها.

والخطر إنما يتمثّل فيما إذا وقفوا موقفاً معادياً للإسلام، وحادّوا الله ورسوله (ص)، هنا تحرمُ الموادّة والموالاة، ولو كانت لأقرب الناس للإنسان، كأمه وأبيه وبناته وبنيه وزوجه وأخيه، قال تعالى: {لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} [المجادلة: 22]. وقال تعالى:

{ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ *} [التوبة: 23 . 24].

لا بأس أن يحبَّ الرجلُ أسرته، ويحبَّ قومه وعشيرته وشعبه، ولكن إذا تعارض ذلك مع حب الله ورسوله (ص)؛ فإن حب الله ورسوله (ص) أغلى من كلِّ شيءٍ، هنا يتغنى المسلم بقول القائل:

أبي الإسلامُ لا أبَ لِي سِوَاهُ إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمِ[(230)]

الثالث عشر . السماحة:

السماحة أول أوصاف الشريعة، وأكبر مقاصدها، والسماحة: سهولة المعاملة فيما اعتاد الناس فيه المشادّة، فهي وسط بين الشدة والتساهل، ولفظ السماحة هو أرشقُ لفظ يدل على هذا المعنى، يقال: سمح فلان؛ إذا جاء بمالٍ له. قال المقنّعُ الكندي:

ليسَ العطاءُ من الفضولِ سماحةً حتى تجودَ وما لديك قليلُ

فالسماحةُ أخصُّ من الجود، ولهذا قابلها زيادُ الأعجم بالندى في قوله:

إنَّ السماحةَ والمروءةَ والندى قي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابنِ الحَشْرَجِ

فتدلُّ السماحةُ على خلق الجود والبذل، وفي الحديث عن جَابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (ص): «رحمَ اللهُ رَجُلاً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى»[(231)].

فالسماحة من أكبر صفات الإسلام الكائنة وسطاً بين طرفي إفراط وتفريط، وفي الحديث الصحيح عن ابن عبّاس عن رسول الله (ص): «أحبُّ الدينِ إلى اللهِ الحنيفيةُ السمحةُ»[(232)].

فرجع معنى السماحة إلى التيسير المعتدل، وهو معنى اليسر الموصوف به

الإسلام، قال تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: 185].

واستقراء الشريعة يدل على هذا الأصل في تشريع الإسلام، فليس الاستدلال عليه بمجرد هذه الاية، أو هذا الخبر، حتى يقول معترضٌ: إنَّ الأصول القطعية لا تثبتُ بالظواهر، لأنَّ أدلةَ هذا الأصل كثيرةٌ منتشرةٌ، وكثرة الظواهر تفيد القطعَ، ولهذا قال الإمام مالك بن أنس في مواضعَ من (الموطأ): ودينُ اللهِ يسرٌ، وحسبُكَ بهذه الكلمة من ذلك الإمام، فإنّه ما قالها حتى استخلصها من استقراء الشريعة، إنّ السماحةَ أكملُ وصفٍ لاطمئنان النفس، وأعونُ على قبول الهدى والإرشاد[(233)]، قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159].

إنَّ حكمةَ السماحة في الشريعة أنَّ الله جعل هذه الشريعة دين الفطرة، وأمور الفطرة راجعةٌ إلى الجبلة، فهي كائنة في النفوس، سهل عليها قبولها، ومن الفطرة النفور من الشدة والإعنات، قال تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا *} [النساء: 28].

وقد أرادَ اللهُ أن تكونَ الشريعةُ الإسلاميةُ شريعةً عامةً دائمةً، فاقتضى ذلك أن يكون تنفيذُها بين الأمة سهلاً، ولا يكونُ ذلك إلا إذا انتفى عنها الإعنات، فهي بسماحتها أشدَّ ملاءمة للنفوس؛ لأنَّ فيها إراحة النفوسِ في حاليْ خُوَيصتها ومجتمعها[(234)].

وقد ظهر للسماحة أثرٌ عظيم في انتشار الشريعة، وطول دوامها، إذ أرانا التاريخُ أنّ سرعة امتثال الأمم للشرائع، ودوامهم على اتباعها؛ كان على مقدار اقتراب الأديان من السماحة، فإذا بلغَ بعضُ الأديان من الشدة حدّاً متجاوزاً لأصل السماحة لحق اتباعه العنت، ولم يلبثوا أن ينصرفوا عنه، أو يفرِّطوا في معظمه.

وقد حافظ الإسلام على استدامة وصف السماحة لأحكامه، فقدّر لها أنها إن عرض لها من العوارض الزمنية أو الحالية ما يصيرها مشتملة على شدة فتح لها باب الرخصة المشروع بقوله تعالى: {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ} [البقرة: 173]. وبقوله تعالى: {إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ} [الأنعام 119]، وفي الحديث: «إنّ اللهَ يحبُّ أن تؤتى رُخصُه كما يُحِبُّ أن تؤتى عزائمُه»[(235)]. ومن قواعد الفقه المشهورة: «المشقة تجلب التيسير».

1 . ومن سماحة القران الكريم، إنكارهُ على أصحاب النزعات المتطرّفة، والذين يحرّمون الطيبات والزينة التي أخرج لعباده[(236)]. قال تعالى: {يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ *قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ *} [الأعراف: 31 . 32].

وفي القران المدني يخاطب الجماعة المؤمنة بقوله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ *وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ *} [المائدة: 87 . 88].

وهاتان الايتان الكريمتان تبينان للمسلمين حقيقة منهج الإسلام في التمتع بالطيبات، ومقاومة الغلو الذي وُجِدَ في بعض الأديان، أو عند بعض المتنطعين[(237)].

2 . ومن سماحة الإسلام أيضاً ما يتبعه من منهج في الدعوة إلى الله عز وجل، وجدال المخالفين، ففي القران الكريم قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[النحل: 125][(238)].

ومن تأمّل الايةَ الكريمةَ يجدُ أنّها لا تكتفي بالأمر بالجدال بالطريقة الحسنة، بل أمرت بالتي هي أحسن، فإذا كان هناك طريقتان للحوار والمناقشة إحداهما

حسنة، والأخرى أحسن منها، وجب على المسلم أن يجادِلَ بالتي هي أحسن؛ جذباً للقلوب النافرة، وتقريباً للأنفس المتباعدة[(239)].

3 . من سماحة النبي (ص) أنّ فتًى من قريش جاء إلى النبي (ص) يستأذنه في الزنى، فثار الصحابة، وهمّوا به لجرأته على النبي (ص)، ولكنّ النبيَّ (ص) وقف موقفاً اخر فقال: «ادنه» فدنا، فقال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا واللهِ، جعلني الله فداك؟ قال: «ولا الناسُ يحبونه لأمهاتهم»، ثم قال له مثل

ذلك في ابنته وأخته وعمته وخالته، في كل ذلك يقول: «أتحبه لكذا؟» فيقول: لا، جعلني الله فداك، فيقول (ص): «ولا الناسُ يحبونه». فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه»، فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء[(240)].

وإنما عامله النبي (ص) بهذا الرفق، تحسيناً للظن به، وأنَّ الخير كامِنٌ فيه، والشر طارأئ عليه، فلم يزل يحاوره حتى اقتنع عقله، واطمأن قلبه إلى خبث الزنى وفحشه، وكسب مع ذلك دعاء النبي (ص)[(241)].

الرابع عشر . الرحمة:

وهي من الأخلاق القرانية العظيمة التي كانت لها العناية الكبرى في القران الكريم من حيث ذكرها، والتوبة بشأنها لما لها من عظيمِ الأثرِ في الحياة الدينية والدنيوية[(242)].

1 . الرحمة صفة من صفات الله تعالى:

الرحمة صفةٌ من صفات الحقّ تبارك وتعالى، التي وصف بها نفسه كثيراً في القران العظيم في نحو مئتي اية، فضلاً عن تصدر كل سورة بصفتي الرحمن الرحيم، وذلك في البسملة التي هي ايةٌ من كلِّ سورة عدا سورة براءة[(243)]، وذلك للدلالة على مبلغ رحمته العظيمة، وشمولها العام بعباده ومخلوقاته. قال تعالى:

{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ} [الأعراف: 156 . 157]. وقال تعالى على لسان ملائكته الكرام: {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ *} [غافر: 7].

وقال تعالى تعليماً للنبي (ص) أنْ يقول للمشركين إنْ هم كذبوه: {رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ *} [الأنعام: 147].

ولقد قرر الله تعالى في كتابه الكريم أنّ الرحمةَ صفته الثابتة التي لا تزول عنه أبداً، كما قال سبحانه: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الأنعام: 54].

وقد ظهرت اثارُ رحمته في الخليقة كلها، فما مِنْ أحدٍ مسلمٍ أو كافرٍ إلا وعليه من اثار رحمته في هذه الدنيا، ففيها يتعايشون، ويؤاخون، ويوادُّون، وفيها يتقلَّبون، لكنّها للمؤمنين خاصةً في الاخرة، لاحظّ للكافرين فيها [(244)].

2 . من مظاهر رحمته بخلقه:

من أجلُّ مظاهر رحمة الله تعالى أن بعث لهم رسله تترى، ثم بعث خاتم أنبيائه، وسيد رسله، وصفوته من خلقه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه؛ الذي امتن به على الأمة، وكشف به الظلمة، وأزاح به الغمة، وجعله رحمة للعالمين أجمعين، كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ *} [الأنبياء: 107]. وكما قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ *} [التوبة: 128].

وقد حدَّث النبي (ص) عن رحمة الله تعالى، ومبلغ سعتها وكنهها، فقال: «إنّ اللهَ لما قَضَى الخلقَ كتب عنده فوق عرشه: إنّ رحمتي سبقتْ غَضَبِي»[(245)].

وقال رسول الله (ص): «جعلَ اللهُ الرحمةَ مئةَ جزءٍ، فأمسكَ عنده تسعة وتسعين، وأنزلَ في الأرضِ جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحمُ الخلائقُ، حتى ترفع الدَّابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»[(246)].

ومن حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قُدِمَ على رسول الله (ص) بسبي، فإذا امرأةٌ من السبي تسعى قد تحلّب ثديُها، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته، وألصقته ببطنها، وأرضعته، فقال رسول الله (ص): «أترونَ هذه المرأةَ طارحةً ولدَها في النار؟» قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله (ص): «اللهُ أرحمُ بعبادهِ من هذه بولدِها»[(247)].

3 . حض المؤمنين على التحلي بالرحمة:

ندب الله تعالى عباده إلى التحلي بالرحمة، وحثّهم عليها في بعض مواطنها؛ لكبير أهميتها في تلك المواطن، لينالوا أجرَها، وعظيم ثوابها، وذلك كالرحمة بالوالدين اللَّذين عظمَ الله شأنهما، وقرن شكرهما بشكره، وطاعتهما بطاعته، فكانت الرحمةُ عند الكبر محتَّمة، حيث قال تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا *} [الإسراء: 24].

وقد قال الله جل ذكره في شأن أصحاب محمد (ص): {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: 29]. كما أثبتها بلازمها لهم، ولمن اتصف بصفاتهم بقوله سبحانه: {مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} [المائدة: 54].

إذ الذلة التي يتحلّون بها فيما بينهم بسبب التراحم بينهم، وهذا دليل على أنَّ الرحمة من أجلّ صفات المؤمنين، حيث كان حديث القران عن الرحمة لديهم في معرض الامتنان والثناء والمدح البليغ، ممّا يدل على عظيم مكانة المتراحمين من المسلمين عند الله تعالى، وقد دلَّ على ذلك ما أعده الله تعالى لهم من الأجر والثواب الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله: {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ *أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ *} [البلد: 17 . 18]. أي: أصحاب اليمين الذين يُعْطَوْنَ كتبهم بأيمانهم، والذين قال الله تعالى فيهم: {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ *فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ *وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ *وَظِلٍّ مَمْدُودٍ *وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ *وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ *لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ *وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ *} [الواقعة: 72 . 34][(248)].

وقد كان رسول الله (ص) القدوةَ الحسنةَ في تحقيق هذا المقصد، وهو الرحمة بالعالمين، فكانت رحمته بالمؤمنين، وبالأهل، والعيال، وبالضعفاء، والكافرين، والحيوان، وكتب السيرة مليئةٌ بالمواقف والأحاديث الدالة على ذلك.

الخامس عشر . الوفاء بالعهود والعقود:

والوفاء من أخلاق السلوك الاجتماعية العظيمة؛ التي كان للقران الكريم بها عناية فائقة؛ لما له من عظيم الدلالة على تزكية النفوس، وصفاء الفطر، وسلامة الإيمان[(249)].

1 . الترغيب بالوفاء بالعهد:

رغّبَ الله تعالى بالوفاء بالعهود بما أعدَّ الله لهم من الثواب، وبما أثنى به عليهم في مُحْكَم الكتاب، قال تعالى: {وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا *} [الفتح: 10].

وقد فصّل في ايات أخرى عظمة ذلك الأجر فقال: {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلاَ يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ *وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ *وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبى الدَّارِ *جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ *وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبى الدَّارِ *}[الرعد: 19 . 24].

فترى أنّ ذلك الأجرَ العظيمَ لم يقتصر عليهم، بل سرى إلى أصولهم وفروعهم وأهليهم، وأيُّ نعيم للمرء أكبرُ من أن يصحبه فيه أصوله وفروعه وأهلوه، لا جرمَ لا يفرط عاقل بهذا الثناء، وذلك الجزاءُ بعد أن يعلمه وهو قادر على أن يناله؛ إلا أن يكون ممّن غلبت عليه شقوته، وأولئك لهم سوء الدار.

2 . الأوامر القرانية بالوفاء بالكيل والوزن:

الوفاء بالكيل والوزن، وهو المجال الذي يتعلق كليةً بحقوق الاخرين، وما

يترتب عليه من قوام حياتهم ومعاشهم، وهو المجال الذي لا سبيل إلى التساهل فيه؛ لأنّه مبنيٌّ على المشاحّة والمقاصّة، فالوفاء فيه يُصْلِحُ للناسِّ أحوالَهم، ويحفظ لهم حقوقهم، ولهذا تكرر الأمر به في القران الكريم خمس مرات، منها قوله تعالى: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ} [الأنعام: 152].

وقال تعالى: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ}[الإسراء: 35][(250)].

وتحدّث القران الكريم عن شعيب عليه السلام مع قومه، فقد كان قومه . بحكم موقع بلادهم الجغرافي . يتحكّمون في طرق التجارة الموصلة بين شمال الجزيرة وجنوبها، وبين مصر والشام وبلاد العراق، فكانوا يفرضون على الناس ما شاؤوا من المعاملات التجارية الجائرة، سعياً إلى جني الربح الفاحش، دون مراعاةٍ لما يقع على غيرهم من الظلم والغبن، وقد شاعت فيهم هذه المعاملات، حتى صارت أمراً متعارفاً عليه عندهم، فلمّا بعث الله شعيباً عليه السلام استهلَّ دعوته بمحاربةِ ما كانوا عليه من عبادة الأصنام والأوثان، ثم ثنى بمحاربة تلك المعاملات الجائرة، ومن أبرزها: نقص الميزان والمكيال[(251)]. قال تعالى: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَل ا ۚ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ *}[الأعراف: 85].

ولهذه الاية نظائر في سورة [هود: 84 . 85]، قال تعالى: . {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَال ياقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ *وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ *} تعالى في سورة الشعراء {أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ *}

ونجد تركيز شعيب عليه السلام على معالجة هذا الانحراف المتأصل في قومه بأساليب مختلفة، شملت الأمر والنهي، والترغيب والترهيب. وقد كان لقوم

شعيب معاملات أخرى جائرة غير نقص المكيال والميزان، وذلك أمر متوقع ممّن يمارِسُ هذا العمل، ونجد شعيباً عليه السلام يذكر هذه المعاملات في جملة من الأمور التي نهاهم عنها، وهي:

أ ـ بخس الناس أشياءهم:

وذلك في قوله تعالى: {وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ} [الأعراف: 85]. والبخس في الأصل هو: النقص، ومن أحسن ما قيل في حدِّه قولُ ابن العربي رحمه الله: البخسُ في لسان العرب هو: النقصُ بالتعييب والتزهيد، أو المخادعة عن القيمة، أو الاحتيال في التزيد في الكيل أو النقصان منه[(252)]. فالبخسُ على هذا أعمُّ من نقص الميزان والمكيال، فإنّه يكونُ في المكيل والموزون وغيرهما كالمعدودات، والمقدَّرات، فيعمُّ كلَّ تصرُّف يُقصد منه انتقاص حقوق الناس، ولذلك صور كثيرة لا تنقضي[(253)].

ب ـ الفساد في الأرض:

وقد ورد في قوله تعالى: {وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا} [الأعراف: 85]. وقوله: {وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ *} [هود: 85]. والفسادُ في الأرض أعمّ من كلِّ ما سبق، فيدخل فيه كل معصية كانوا يعملونها، من عبادةِ غيرِ الله، ونقص المكيال والميزان، وبخس الناس حقوقهم، وغير ذلك[(254)].

ج ـ قطع الطريق:

قال تعالى: {وَلاَ تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ} [الأعراف: 86]. وفي هذه الاية نهيٌ عمّا كانوا يفعلونه من القعود في طريق من يريد المجيء إلى شعيب عليه السلام لسماع دعوته، فيصدّونه، ويقولون: إنّه كذاب[(255)]، وهذا من الأوجه التي حُملت عليها هذه الجملة، وذكر فيها وجهان اخران، أولهما: قطع الطريق وسلب أموال الناس، وثانيهما: القعود في الطرق لأخذ العشور من الناس،

وجوّز الشوكاني رحمه الله حمل الجملة على هذه الأوجه كلها[(256)].

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها شعيب عليه السلام في معالجة هذه الانحرافات في قومه، فإنّه لم يلقَ منهم غيرَ العناد والإصرار، وذلك لشيوع تلك الانحرافات بينهم، وتأصّلها فيهم، وفي اخر الأمر ردوا عليه ردّاً قبيحاً، إذ اعتبروا محاولاته في صرفهم عن معاملاتهم الجائرة ضرباً من الهذيان، سببه ما يداوم عليه من الصلاة، قال تعالى: {قَالُوا ياشُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ

نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ *}[هود: 87]، فقولهم: يعنون به: ما درجوا عليه من نقص المكيال والميزان{أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ}، وبخس الناس حقوقهم، وسائر معاملاتهم الظالمة، فاستهزؤوا بشعيب، وأنكروا عليه تدخله في تلك الأمور، بدعوى أن الأموال لهم، وهم أحرار فيها، يتصرفون فيهاكيف شاؤوا، ويفرضون على الناس ما يحقق لهم الأرباح.

وهذا عينُ ما يردِّده المنحرفون عن المنهج الرباني في هذا العصر، بل وفي كل عصر، يتعاطون أكلَ أموال الناس بالباطل عن طريق الغش والخداع، والحيل والربا وسائر المعاملات المحرمة، فإذا نُهوا عن ذلك، تعلّلوا واحتجوا بما يسمّونه حرية الاقتصاد، واستنكروا أن يتدخل الدينُ في هذه الأمور[(257)].

والأجدر بهؤلاء، لاسيّما المنتسبين منهم إلى الإسلام أن يعتبروا بما حلّ بأشباههم في سالف الأزمان من الهلاك بسبب معاملاتهم الظالمة، وإصرارهم عليها، أفيأمنُ أحدُهم أن يأخذه الله بعاجل العذاب،ويجعله عبرة لأهل زمانه ولمن بعده، كما جعل قومَ شعيبٍ عبرةً لأهل زمانهم ولمن بعدهم، والعاقل من اتعظ بغيره، لا من وُعظ به غيرُه[(258)]، فقد كان قوم شعيب أهل شرك وكفر، وتطفيف للمكاييل والموازين، ولم تُجْدِ معهم دعوةُ شعيب إياهم إلى التوحيد، وإيفاء الكيل والميزان، بل ازدادوا عناداً وإصراراً، فأصابهم عذاب الظلة، وهي

سحابة أظلتهم، فيها شرر من نار ولهب، ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء، ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح، وفاضت النفوس، وخمدت الأجسام[(259)].

3. الأمر بالوفاء بالعقود:

قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} [المائدة: 1]. ومعنى الاية: يا أيها الذين التزمتم بإيمانكم أنواع العقود والعهود في إظهار الطاعة، أوفوا بتلك العقود التي التزمتم بها، وإنّما سمى الله تعالى هذه التكاليف عقوداً؛ لأنّه ربطها بعباده، كما يُرْبَطُ الشيءُ بالشيءِ بالحبل الموثق[(260)]، فالاية الكريمة تنادي الموصوفين بالإيمان أن يفوا بالعقود التي التزموا بها، ووصفهم بالإيمان تهييجاً لهم على الوفاءِ بالعقود؛ لأنّ ذلك من مقتضيات الإيمان الذي تعلقوا به[(261)].

4. الأمر بالوفاء بالنذر:

قال تعالى: {ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ *} [الحج: 29]. والنذور: جمع نذر، وهو التزام قربة لم تتعيّن في الشرع[(262)]، ومنه ما وردت فيه الاية؛ مما ينذره الحاج

من أعمال البر في حجه من هدي ونحوه، وهو ما شملته اية المائدة السابقة؛ لأنّ عقداً يعقده المؤمن مع الله تبارك وتعالى، فإفراده بالذكر من بين سائر العقود يدل على أهمية الوفاء به، وحتى لا يفرط فيه المؤمن، فيتخلى عن عدم الإيفاء به لعدم المطالب في الدنيا، إذ لا يزع على الإيفاء به إلا قوة الإيمان[(263)]، ولذلك كان تهديدُ الله تعالى للمفرطين به مخيفاً، حيث قال: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ *} [البقرة: 270].

فإذا كان النذرُ يعلمه الله تعالى فإنّ رهن المجازاة به أداءً أو تفريطاً، فلا يخادع إلا نفسه إن هو لم يفِ به، أما إذا وفّى به فإنه يكون ذا مكانة عالية عند الله تعالى، كما يدّل عليه تنويه الله تعالى بأهل هذا الخلق العظيم في كتابه الكريم[(264)].

5. تنويه القران الكريم بأهل الوفاء:

قال تعالى: {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلاَ يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ *} [الرعد: 19 . 20]. فنعتهم الله تعالى بأولي الألباب، أي: أصحاب عقول، حيث هدتهم عقولهم إلى وجوب احترام العهود والمواثيق التي التزموا بها لخالقهم في الإيمان والعبادة، والمخلوقين في المعاملات والسلوك، فلا ينقضون عهداً ولا ميثاقاً، ومنها قوله سبحانه في سياق تعداد صفات أهل البر من عباده: {وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ *} [البقرة: 177].

فوصف الله تعالى أصحابَ هذه الأخلاق، ومنها خُلق الوفاء، بأنّهم أهلُ صدق وأهل تقوى، وذلك لأنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه، واتقوا عذابه وعقابه الذي وعد به الناكثين والخائنين، فتأمل مبلغَ هذا الثناء من الملك الجليل المتضمن للتنويه العظيم بأهل تلك الأخلاق الكريمة تجد التعبير قاصراً عن إدراك كنهه، لما ينطوي عليه من الجزاء الكبير المعد لأولئك الموصفين بهذه الصفات، إذ هو بحسب مقام المثني والمثيب، جعلنا الله ممن نال حظاً من ثنائه وجزائه الكريم، فإنّ جزاءه الكريم لهو الجزاء الأوفى، ولا غَرْوَ أن ينال أهل الوفاء ذلك الثناء وذلك الجزاء العظيم، فإنّهم قد تحلّوا بذلك الخلق العظيم الذي هو من صفات الحق تبارك وتعالى، فإنّه سبحانه ذو الوفاء الذي لا يدانيه وفاء، كما أخبر سبحانه عن نفسه، وهو أصدق القائلين بقوله تعالى: {وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ} [التوبة: 111].

كما أنّه من صفات أنبياء الله عليهم الصلاة السلام، فهذا نبيُّ الله إبراهيم عليه السلام قد ضربَ المثلَ في الوفاء، إذ وفّى وفاء لم يُعرف أحد من البشر أن ابتلي بمثله، وذلك حينما أمره الله تعالى بأن يذبح ابنه، فلذة كبده بيده، فما كان منه إلا أن امتثل أمر ربه، وطاوعه ابنه على أمر ربه، وتلّه للجبين، ليحقق أمر الله، فلمّا علم الله صدقه ووفاءه فداه بِذِبحٍ عظيم، وناداه معبراً عن رضاه عنه، وعن وفائه بقوله: {ياإِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ *} [الصافات: 104 . 105][(265)].

كما ابتلاه الله أيضاً بكلمات من التكاليف الشرعية، قال تعالى: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ *} [البقرة: 124]. فاستحقَّ بذلك أن ينوه الله تعالى بوفائه هذا، فقال: . وفّى بجميع ما أمره الله به من التكاليف الشرعية

وكذلك نبيُّ الله يوسف عليه السلام، فإنّ خُلقَ الوفاء حمله على أن ينسى ما عمله إخوانه معه من مكر وخديعة؛ بحيث كانوا يهدفون إلى أن يلقوه حتفه حينما ألقوه في غيابة الجُبّ، ناهيك عمّا أورثوه أباهم نبيَّ الله يعقوب عليه السلام من حزن عميق على فقد ابنه يوسف عليه السلام؛ حتى ابيضت عيناه من الحزن، ومع ذلك فلمّا وفد إليه إخوته بعد أن مكنه الله من خزائن الأرض، قال تعالى: {أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ *} [يوسف: 59]. هذا هو الوفاء بحقوق الناس عامة، والإخوة والأرحام منهم خاصة، وهذا هو الخلق الكريم اللائق من نبي كريم، ولا ريبَ فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم[(266)].

6. ما أعده الله لأهل الوفاء من الأجر والجزاء:

قال تعالى: {إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا *عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا *يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا *} [الدهر: 5 . 7]. فسمّاهم الله تعالى أبراراً، ومعلوم أنّ الأبرار لهم صفات كثيرة تدل على عظمة إيمانهم

وتعبدهم، ولكنْ لم يذكر الله تعالى في هذه الاية الدالة على مبلغ ثوابهم وأجرهم إلا صفة الوفاء والخوف، وذلك لأنّ هذا الوصفَ أبلغُ في التوفر على أداء الواجبات، لأنّ مَنْ وفّى بما أوجبه الله على نفسه لله، كان أوفى بما أوجبه الله عليه بالأولى[(267)]، وذلك يدل على قوة الإيمان، إذ لا يدفع إلى الوفاء بالنذر إلا قوة الإيمان، وتفاوتُ الناسِ عند الله تعالى إنّما يكون بحسب قوة إيمانهم وضعفه،

كما دل عليه قوله تَعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13]. جعلنا الله من أهل الوفاء والتقوى بمنه وكرمه[(268)].

فهذه من أهم مقاصد القران الكريم، وقد تناولنا بعضها، كتصحيح المعتقد، وتقوى الله وعبادته، وتزكية النفس، والحرية، والشورى، وكرامة الإنسان، وتحرير المرأة من ظلم الجاهلية، وتكوين الأسرة، وبناء الأمة الشهيدة على الناس، والسماحة، والرحمة، والوفاء بالعهود.

* * *

الفصل الرابع

جمع القران الكريم وكتابته

أولاً . جمع القران الكريم كتابة من فم الرسول (ص).

ثانياً . جمع القران الكريم في مصحف واحد في عهد أبي الصديق رضي الله عنه.

ثالثاً . جمع القران الكريم في عدد من المصاحف في عهد عثمان ذي النورين رضي الله عنه.

رابعاً . هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة؟

خامساً . عدد المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار.

سادساً . الفرق بين جمع الصديق وجمع عثمان رضي الله عنهما.

الفصل الرابع

جمع القران الكريم وكتابته

وردت لفظة «الجمع» بمعنى: «الحفظ مع دقة الترتيب» عدّة مرّات في كتاب الله، وذلك من مثل قوله تعالى مخاطباً خاتمَ أنبيائه ورسله (ص): {لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ *إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ *فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ *ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ *} [القيامة: 16 . 19].

وهذا المعنى اتاه الله تعالى . لخاتم أنبيائه ورسله (ص) . ولعددٍ غيرِ قليل من صحابته الكرام، ومن تبعهم من الصالحين إلى اليوم، وحتى يوم الدين، وهؤلاء تدارسوا القران الكريم، ولا يزالون يتدارسونه ويستظهرونه، ليتمكنوا من القراءة به في الصلوات المكتوبة، وفي النوافل، وفي الاستشهاد.

كما وردت لفظة «الجمع» بمعنى: «الكتابة والتدوين».

وقد مرّ جمع القران وتدوينه بمراحل ثلاثة:

أولاً . جمع القران الكريم كتابة من فم رسول الله (ص)[(269)]:

إنّ جميع الأحاديث الواردة في هذا الشأن تتفق على أنّ ترتيب اياتِ القران، حسبما عليه المصحف الان، إنّما هو ترتيبٌ توقيفي، لم يجتهد فيه رسول الله ولا أحد من الصحابة في عهده أو من بعده، وإنّما كان يتلقّى ترتيبَ بعضها إلى جانب بعض وحياً من عند الله بواسطة جبريل.

روى الإمام أحمد بإسناده عن عثمان بن أبي العاص، قال: كنتُ جالساً عند رسول الله (ص) إذ شخصَ ببصره ثم صوّبه، قال: «أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الاية هذا الموضع من هذه السورة»: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى} [النحل: 90][(270)].

إنّ من مظاهر عناية الله بالقران الكريم وحفظه ما تمّ على يد الرسول (ص) وأمته من حفظ القران في صدورهم، وكتابته في الصحف، وقد بلغ الرسول (ص) وأمته في ذلك أرقى مناهج التوثيق، ذلك أنَّ القران الكريم نزل على رسول الله (ص) منجّماً في ثلاث وعشرين سنة[(271)]، حسب الحوادث ومقتضى الحال، وكانت السورةُ تدوَّن ساعةَ نزولها، إذ كان المصطفى (ص) إذا ما نزلت عليه ايةٌ أو اياتٌ قال: ضعوها في مكان كذا... سورة كذا[(272)].

ولهذا اتفق العلماء على أنّ جمع القران توقيفي، بمعنى أن ترتيبَ اياته بهذه الطريقة التي نراه عليها اليوم في المصاحف إنما هو بأمر الله، ووحي من الله[(273)].

وما يقال عن ترتيب اياتِ القران هو الذي يقوله إجماع المؤرخين والمحدّثين والباحثين عن ترتيب السور، ووضع البسملة في رؤوسها، قال القاضي أبو بكر الباقلاني رواية عن مكي رحمه الله في تفسير سورة «براءة»: إنَّ ترتيب الاياتِ في السور، ووضع البسملة في الأوائل هو توقيفٌ من الله عز وجل، ولما لم يؤمر بذلك في أول سورة براءة تُرِكَت بلا بسملة[(274)].

وروى القرطبي عن ابن وهب قال: سمعتُ سُلَيمان بن بلال يقول: سمعتُ ربيعة يُسأل: لم قدّمت البقرةُ والُ عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة، وإنما نزلتا في المدينة؟ فقال ربيعة: قد قدمتا، وألّف القران على علمٍ ممّن ألّفه[(275)].

هذا عن ترتيبِ اي القران وسوره، أما عن كتابته، فمن المعلوم أولاً أن

النبي (ص) كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، أجمعَ على ذلك عامة المؤرخين، وكل المشركين الذين كانوا على عهد رسول الله (ص)، لذا فقد كان يعهد بكتابة ما يتنزل عليه من القران إلى أشخاصٍ من الصحابة بأعيانهم كانوا يُسمَّون كتّاب الوحي، وأشهرهم الخلفاء الأربعة، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، والزبير بن العوام، وشُرَحْبيل بن حسْنة، وعبد الله بن رواحة، وقد كانوا يكتبون ما يتنزل من القران تباعاً حسب الترتيب الذي يأتي به جبريل؛ فيما تيسر لهم من العظام المرققة والمخصصة لذلك، وألواح الحجارة الرقيقة والجلود، وقد كانوا يضعون ما يكتبونه في بيت رسول الله (ص)، ثم يكتبون لأنفسهم إنْ شاؤوا نسخاً عنها يحفظونها لديهم، ولقد كان من الصحابة من يتتبع ما ينزل من ايات القران ويتتبع ترتيبها فيحفظها عن ظهر قلب، حتى كان فيهم من حفظ القران كله، فمن المشاهير أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، واخرون[(276)].

وظلَّ الصحابة يعكفون على حفظ القران غيباً، حتى ارتفعت نسبةُ الحفّاظ منهم إلى عدد لا يحصى.

يتضح لك من هذا الذي ذكرناه أنّ القران وعاه الصدر الأول من الصحابة، وبلّغوه إلى مَنْ بعدَهم بطريقتين اثنتين:

إحدهما: الكتابة التي كانت تتم للقران بأمر الرسول (ص) لأشخاص بأعيانهم وكّل إليهم هذا الأمر، ولم ينتقل رسول الله (ص) إلى جوار ربه إلا والقران مكتوب كله في بيته.

الثانية: حفظه في الصدور عن طريق التلقي الشفهي من كبار قرّاء الصحابة وحفاظهم؛ الذين تلقّوْه بدورهم عن رسول الله (ص)؛ الذي أقرّهم على كيفية النطق والأداء[(277)].

وكان كلّ ما يكتب من اياتِ وسورِ القران الكريم بعدَ الوحي بها مباشرةً يُحْفَظُ

في بيت رسول الله (ص)، مع استنساخ كُتّاب الوحي نسخاً لأنفسهم من جميع ما أُملي على كلٍّ منهم، وبذلك تمَّ جمعُ القران الكريم كله كتابة وحفظاً على عهد رسول الله (ص)[(278)].

وثبت أنَّ جبريل عليه السلام كان يعارِضُ الرسول (ص) بالقران مرّةً واحدةً في كلِّ سنة، ثم عارضه به في السنّةِ التي توفّي فيها (ص) مرتين[(279)]، ومعنى هذا أنَّ القران الكريم كان في صورته التامّة في هذه السنة التي تمّ عرضُه فيها مرّتين، ولذلك شواهد كثيرة ذكرها العلماء، من أظهرها ما أورده البغويُّ عن أبي عبد الرحمن السُّلمي أنّه قال: كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان، وزيد بن ثابت، والمهاجرين والأنصار واحدةً، كانوا يقرؤون القراءة العامة فيه، وهي القراءةُ التي قرأها رسول الله (ص) على جبريل مرّتين في العام الذي قُبض فيه، وكان زيد قد شهد العرضة الأخيرة، وكان يقرأئُ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده الصدّيق في جمعه أولاً، وولاه عثمانُ على كَتَبة المصحف[(280)].

على أنّ القران رغم ذلك لم يجمع بين دفتين في مصحف على عهد رسول الله (ص)، وذلك لضيقِ الوقتِ بين اخرِ ايةٍ نزلت من القران وبين وفاته (ص)[(281)].

ثانياً. جمع القران الكريم في مصحف واحد على عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: كان من ضمن شهداء المسلمين في حرب مسيلمة الكذَّاب في اليمامة كثيرٌ من حفظة القران، وقد نتجَ عن ذلك أنْ قام أبو بكر رضي الله عنه بمشورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجمع القران، حيث جُمِعَ من الرقاع والعظام والسَّعْف ومن صدور الرجال[(282)]، وأسندَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذا العمل

العظيم، والمشروعَ الحضاريَّ الضخم إلى الصحابي الجليل زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه.

يروي زيد بن ثابت رضي الله عنه فيقول: بعث إليَّ أبو بكر رضي الله عنه فقال: إنّ عمر أتاني فقال: إنَّ القتلَ قد استحرّ[(283)] يومَ اليمامة بقرّاء القران، وإنِّي أرى أنْ تأمرَ بجمع القران، قلتُ لعمر: كيفَ أفعلُ شيئاً لم يفعله رسولُ اللهِ (ص)[(284)]؟ فقال عمر: هذا واللهِ خيرٌ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرحَ الله صدري للذي شرحَ له صدرَ عمر، ورأيتُ في ذلك الذي رأى عمر، قال زيدٌ: قال أبو بكر: وإنّك رجلٌ شابٌّ عاقل لا نتهمك[(285)]، وقد كنتَ تكتبُ الوحيَ لرسول

الله (ص)، فتتبّع القرانَ فاجمَعْهُ[(286)]، قال زيد: فوالله لو كلّفوني نقل جبلٍ من الجبال ما كان بأثقلَ عَليّ مما كلفني به من جمع القران، فتتبعتُ القرانَ من العسب[(287)] واللِّخاف[(288)]، وصدورِ الرجال، والرِّقاع[(289)]، والأكتاف[(290)]. قال: حتى وجدتُ اخرَ سورةِ التوبةِ مع أبي خزيمة الأنصاريِّ، لم أجده ا مع أحدٍ غيره، وهي قوله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ *} [التوبة: 128]، حتى خاتمة براءة، وكانت الصحف عند أبي بكر في حياته حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم[(291)].

وعلق البغوي على هذا الحديث فقال: فيه البيانُ الواضحُ أنّ الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرانَ الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على

رسوله (ص) من غير أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه شيئاً، والذي حملهم على جمعه ما جاء في الحديث؛ وهو أنّه كان مفرّقاً في العسب واللخاف وصدور الرجال، فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته، ففزعوا فيه إلى خليفةِ رسول الله، ودعَوْه إلى جمعه، فرأى في ذلك رأيهم، فأمر بجمعه في موضعٍ واحدٍ باتفاقٍ من جميعهم، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله (ص) من غير أن يقدموا شيئاً أو يؤخروا أو يضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله (ص)، وكان رسول الله (ص) يلقى أصحابه، ويعلّمهم ما ينزل عليه من القران على الترتيب الذي هو الان في مصاحفنا بتوقيفٍ جبريل صلوات الله عليه إياه على ذلك، وإعلامه عند نزولِ كلِّ ايةٍ أنّ هذه الاية تكتب عَقِبَ ايةِ كذا في السورة التي يذكر فيها كذا[(292)].

وهكذا يتضح للقارأئ الكريم أنّ من أوليات أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أنّه أوّل من جمع القران الكريم، يقول صعصعة بن صَوْحان رحمه الله: أول من جمع القران بين اللوحين، وورّث الكلالة[(293)]، أبو بكر.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يرحم الله أبا بكر، هو أول من جمع القران بين اللوحين[(294)].

وقد اختار أبو بكر رضي الله عنه زيدَ بن ثابتٍ لهذه المهمة العظيمة، وذلك لأنّه رأى فيه المقوّمات الأساسية للقيام بها، وهي:

1. كونه شاباً، حيث كان عمره واحداً وعشرين عاماً، فيكون أنشطَ لما يُطْلبُ منه.

2. كونه أكثر تأهيلاً، فيكون أوعى له، إذ مَنْ وهبه الله عقلاً راجحاً فقد يسّر له سُبُلَ الخير.
3. كونه ثقة، فليس هو موضعاً للتهمة، فيكون عملُه مقبولاً، وتركنُ إليه النفوس، وتَطمئن إليه القلوب.
4. كونه كاتباً للوحي، فهو بذلك ذو خبرةٍ سابقةٍ في هذا الأمر، وممارسةٍ عمليةٍ له فليس غريباً عن هذا العمل، ولا دخيلاً عليه[(295)].

هذه الصفاتُ الجليلةُ جعلتِ الصدّيق يُرشِّحُ زيداً لجمع القران، فكان به جديراً، وبالقيام به خبيراً.

5. ويضافُ لذلك أنّه أحد الصحابة الذين جمعوا القران على عهد النبي (ص) مع الإتقان.

وأما الطريقة التي اتبعها زيد في جمع القران؛ فكان لا يثبِتُ شيئاً من القران إلا إذا كان مكتوباً بين يدي النبيِّ (ص) ومحفوظاً من الصحابة، فكان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة، خشيةَ أنْ يكونَ في الحفظِ خطأ أو وهمٌ، وأيضاً لم يقبل من أحدٍ شيئاً جاء به إلا إذا أتى معه شاهدان يشهدان أن ذلك المكتوبَ كُتِبَ بين يدي رسول الله (ص)، وأنّه من الوجوه التي نزل بها القران[(296)].

وعلى هذا المنهج استمرّ زيدٌ رضي الله عنه في جمع القران حَذِراً، متثبّتاً، مبالغاً في الدقة والتحري[(297)].

إنّ زيداً اتبع طريقة في الجمع نستطيعُ أن نقولَ عنها من غير تردٍد: إنّها طريقةٌ فذّة في تاريخ الصناعة العقلية الإنسانية، وإنها طريقة التحقيق العلمي المألوف في العصر الحديث، وإنّ الصحابيَّ الجليل قد اتبع هذه الطريقة بدقة دونها كل دقة، وإنّ هذه الدقة في جَمْعِ القران متصلةٌ بإيمان زيد بالله، فالقرانُ كلامُ الله جل شأنه، فكل تهاونٍ في أمره، أو إغفالٍ للدقة في جمعه وزر؛ ما كان أحرص زيداً . في حسن إسلامه، وجميل صحبته لرسول الله (ص) أن يتنزه عنه.

إنّ ما قام به زيد بن ثابت رضي الله عنه بتكليفٍ من خليفة المسلمين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومشورةِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومعاونةِ أبي بن كعب رضي الله عنه، ومشاركة جمهور الصحابة ممّن كان يحفظ القران أو يكتبه[(298)]، وإقرارُ جَمْعٍ من المهاجرين والأنصار مظهرٌ من مظاهر العناية الربانية

بحفظ القران الكريم، وتوفيقٌ من الله للأمة الإسلامية، وتسديدٌ منه لمسيرتها، ويتضمن ذلك . أيضاً .

كما قال أبو زهرة: حقيقتين مهمتين تدلان على إجماع الأمة كلِّها على حماية القران الكريم من

التحريف والتغيير والتبديل، وأنّه مصونٌ بعناية الله سبحانه وتعالى، ومحفوظٌ بحفظه وإلهام المؤمنين بالقيام عليه، وحياطته[(299)].

الأولى: أن عمل زيد رضي الله عنه لم يكن كتابة مبتدأة، ولكنه جمع مكتوب[(300)]، فقد كُتِبَ القرانُ كلُّه في عهد النبي (ص)، وعمل زيدٍ الابتدائي هو البحثُ عن الرقاع والعظام التي كان قد كُتِبَ عليها، والتأكد من سلامتها بأمرين، بشهادةِ اثنين على الرقعة التي فيها الايةُ والايتان أو الايات، وبحفظ زيدٍ نفسه، وبالحافظين من الصحابة، وقد كانوا الجمعَ الغفيرَ، والعددَ الكبيرِ، فما كان لأحدٍ أن يقول: إنَّ زيداً كتب من غير أصلٍ مادي قائمٍ، بل إنّه أخذَ من أصلٍ قائمٍ ثابتٍ مادي، وبذلك نقرِّرُ أن ما كتبه زيد هو تماماً ما كُتِبَ في عصر الرسول (ص)، وأنّه ليس كتابة زيد، بل ما كتب في عصره عليه الصلاة والسلام، وأملاه، وما حفظه الروح القدس.

الثانية: أن عمل زيد لم يكن عملاً أحادياً، بل كان عملاً جماعياً من مشيخة صحابة رسول الله (ص)، فقد طلب أبو بكر إلى كل ما عنده شيءٌ مكتوب أن يجيء به إلى زيد، وإلى كلِّ مَنْ يحفظ القران أن يدلي إليه بما يحفظه، واجتمع لزيدٍ من الرقاع والعظامِ وجريدِ النخل ورقيق الحجارة، وكل ما كَتَبَ أصحابُ رسول الله (ص)، وعند ذلك بدأ زيد يرتبه ويوازنه ويستشهد عليه، ولا يثبِتُ ايةً إلا إذا اطمأن إلى إثباتها، كما أوحيت إلى رسول الله[(301)].

واستمرّ الأمر كذلك، حتى إذا ما أتمَّ زيدٌ ما كتبَ، تذاكره الناس، وتعرفوه، وأقروه، فكان المكتوب متواتراً بالكتاب، ومتواتراً بالحفظ في

الصدور، وما تمّ هذا الكتاب في الوجود غير القران[(302)] . وايم الله . عناية من الرحمن خاصة بهذا القران العظيم[(303)]. وشرف للأمة الإسلامية تميزت به على سائر الأمم، ووفقها الله لخدمة كتابه في منهج علمي سبقت إليه جميعَ الأمم[(304)].

ثالثاً . جمع القران الكريم في عدد من المصاحف على عهد ذي النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه:

1. الباعث على جمع القران في عهد عثمان رضي الله عنه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنّ حذيفة بن اليمان قَدِمَ على عثمان رضي الله عنه، وكان يُغازي أهل الشام في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزعَ حذيفةَ رضي الله عنه اختلافُهم في

القراءة، فقال حذيفةُ لعثمان: يا أميرَ المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتابِ اختلافَ اليهود والنصارى.

فأرسلَ عثمانُ إلى حفصة أنْ أرسلي إلينا بالصُّحفِ ننسخُها في المصاحف، ثم نردُّها إليك، فأرسلت بها حفصةُ إلى عثمان، فأمرَ زيدَ بنَ ثابت، وعبدَ الله بن الزبير، وسعيدَ بن العاص، وعبدَ الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرّهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيءٍ من القران؛ فاكتبوه بلسان قريش، فإنّما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصُّحف في المصاحف، ردَّ عثمان رضي الله عنه الصُّحفَ إلى حفصة، فأرسل إلى كلِّ أُفقٍ بمصحف ممّا نسخوا، وأمر بما سواه من القرانِ في كلِّ صحيفةٍ، أو مصحفٍ أن يُحرّقَ[(305)].

ويؤخذ من الحديث الصحيح أمور، منها:

أ ـ أنّ السببَ الحامل لعثمان رضي الله عنه على جمع القران مع أنّه كان مجموعاً، مرتّباً في صحف أبي بكر الصديق، إنّما هو اختلافُ قرّاء المسلمين

في القراءةِ اختلافاً أوشك أن يؤدّي بهم إلى أخطرِ فتنةٍ في كتاب الله تعالى، وهو أصل الشريعة، ودعامة الدين، وأساس بناء الأمة الاجتماعي والسياسي والخُلُقي، حتى إنّ بعضهم كان يقول لبعض: إنّ قراءتي خيرٌ من قراءتك، فأفزعَ ذلك حذيفةَ، ففزع إلى خليفةِ المسلمين وإمامِهم، وطلب إليه أن يُدْرِكَ الأمة قبل أن تختلف، فيستشري بينهم الاختلافُ، ويتفاقم أمرُه، ويعظم خطبُه، فيُمسّ نصُّ القران، وتُحرّف عن مواضعها كلماته واياته، كالذي وقع بين اليهود والنصارى من اختلاف كل أمة على نفسها في كتابها.

ب ـ أن هذا الحديث الصحيح قاطعٌ بأنّ القران الكريم كان مجموعاً في صحف ومضموماً في خيط، وقد اتفقت كلمةُ الأمةِ اتفاقاً تاماً على أنَّ ما في تلك الصُّحف هو القران كما تلقته عن النبيِّ (ص) في اخر عرضةٍ على أمين الوحي جبريل عليه السلام، وأنَّ تلك الصحف ظلت في رعاية الخليفة الأول أبي بكر الصديق، ثم انتقلت بعده إلى رعاية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، ثم عرف عمر حضور أجله، ولم يولِّ عهده أحداً معيناً في خلافة المسلمين، وإنّما جعل الأمر شورى في الرّهط المتصفين بالرّضا من رسول الله (ص)، أوصى بحفظ الصحف عند ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، وأنَّ عثمان اعتمدَ في جمعه على تلك الصُّحف، وعنها نقل مصحفه «الرّسمي»، وأنّه أمر أربعةً

من أشهر قرّاء الصحابة إتقاناً لحفظ القران، ووعياً لحروفه، وأداءً لقراءاته، وفهماً لإعرابه ولغته: ثلاثة قرشيين وواحداً أنصارياً، وهو زيد بن ثابت صاحب الجمع الأول في عهد الصديق بإشارة الفاروق.

وفي بعض الروايات: أنّ الذين أمرهم عثمان أن يكتبوا من الصحف اثنا عشر رجلاً، فيهم أُبي بن كعب، واخرون من قريش والأنصار[(306)].

ج . ونأخذ من هذا: أن الفتوحات في عهد عثمان كانت بإذن وأمر من الخليفة، وأنّ القرار العسكري يصدرُ من المدينة، وأنّ الولايات الإسلامية كلها كانت خاضعة لأمر الخليفة عثمان في عهده، بل يدلّ على أنّ هناك إجماعاً من الصحابة والتابعين في جميع الأقاليم على خلافة عثمان، وقدوم حذيفة بن اليمان

إلى المدينة، لرفع اختلاف الناس في قراءة القران، يدل على أنّ القضايا الشرعية الكبرى كان يستشار فيها الخليفة في المدينة، وأنَّ المدينة ما زالت دار السنة، ومجمع فقهاء الصحابة[(307)].

2 . استشارة جمهور الصحابة في جمع عثمان:

جمع عثمان رضي الله عنه المهاجرين والأنصار، وشاورهم في الأمر، وفيهم أعيانُ الأمة، وأعلامُ الأئمة، وعلماءُ الصحابة، وفي طليعتهم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وعرض عثمان رضي الله عنه هذه المعضلة على صفوة الأمة وقادتها الهادين المهديين، ودارسهم أمرَها، ودارسوه، وناقشهم فيها وناقشوه، حتى عرف رأيهم وعرفوا رأيه، فأجابوه إلى رأيه في صراحة لا تجعل للريب إلى قلوب المؤمنين سبيلاً، وظهر للناس في أرجاء الأرض من عقد عليه إجماعهم، فلم يعرف قط يومئذ لهم مخالف، ولا عرف عند أحد نكير، وليس شأن القران الذي يخفى على احادِ الأمة فضلاً عن علمائها وأئمتها البارزين[(308)].

إنَّ عثمان رضي الله عنه لم يبتدع في جمعه المصحف، بل سبقه إلى ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه، كما أنه لم يضع ذلك من قبل نفسه، إنما فعله عن مشورة للصحابة رضي الله عنهم، وأعجبهم هذا الفعل، وقالوا: نعمَ ما رأيتَ، وقالوا أيضاً: قد أحسن، أي: في فعله في المصاحف[(309)].

وقد أدرك مصعب بن سعد صحابة النبي (ص) حين مشق[(310)] عثمان رضي الله عنه المصاحف، فراهم قد أُعجبوا بهذا الفعل منه[(311)].

وكان علي رضي الله عنه ينهى مَنْ يعيبُ على عثمان رضي الله عنه بذلك، ويقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا فيه إلا خيراً. أو قولوا خيراً. فوالله ما فعل الذي فعل. أي: في المصاحف. إلا عن ملأ منا جميعاً. أي:

الصحابة. واللهِ لو ولّيتُ، لفعلتُ مثل الذي فعل[(312)].

وبعد اتفاق هذا الجمع الفاضل من خيرة الخلق على هذا الأمر المبارك، يتبين لكل متجرِّدٍ عن الهوى أنّ الواجبَ على المسلم الرضا بهذا الصنيع الذي صنعه عثمان رضي الله عنه، وحفظ به القران الكريم[(313)].

قال القرطبي في التفسير: وكان هذا من عثمان رضي الله عنه بعد أن جمع المهاجرين والأنصار، وجلة أهل الإسلام، وشاورهم في ذلك، فاتفقوا على جمعه بما صح، وثبت من القراءة المشهورة عن النبي (ص) واطّراح ما سواه، واستصوبوا رأيه، وكان رأياً سديداً موفقاً[(314)].

رابعاً. هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة؟

ذهب الشيخ المحقق محمد صادق عرجون رحمه الله إلى أنَّ صحف الصِّدِّيق؛ التي كانت أصلاً للمصحف الإمام بإجماع المسلمين؛ لم تكن جامعةً للأحرف السبعة التي وردت في صحاح الأحاديث بإنزال القران عليها، بل كانت حرفاً منها، وهو الذي وقعت به العرضة الأخيرة، واستقرَّ عليها الأمر في اخر حياة رسول الله (ص)، وإنما كانت الأحرف السبعة أولاً من باب التّيسير على الأمة، ثم ارتفع حكمها لما استفاض القران، وتمازج الناس، وتوحَّدت لغاتهم.

قال الإمام الطحاويُّ: إنَّما كانت السَّعة للناس في الحروف، لعجزهم عن أخذ القران على غير لغاتهم، لأنَّهم كانوا أمِّيين، لا يكتب إلا القليل منهم، فلمَّا كان يشقُّ على كل ذي لغة أن يتحوَّل إلى غيرها من اللُّغات، ولو رَامَ ذلك لم يتهيّأ له إلا بمشقة عظيمة؛ وُسّع لهم في اختلاف الألفاظ، إذا كان المعنى متَّفقاً، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب، وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله (ص)، فقدروا بذلك على حفظ ألفاظه، فلم يسعهم حينئذ أن يقرؤوا بخلافها.

وقال ابن عبد البرِّ: فبات بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك، ثمَّ ارتفعت تلك الضرورة، فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف، وعاد ما يقرأ به القران على حرف واحد[(315)].

وقال الطبري: إنَّ القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة، وإنما كان جائزاً لهم، ومرخصاً لهم فيه، فلمّا رأى الصحابة أن الأمة تفترق، وتختلف إذا لم يجتمعوا على حرف واحد؛ أجمعوا على ذلك إجماعاً شائعاً، وهم معصومون من الضلالة[(316)].

وهذا الحرف الذي كتبت به صحف الإجماع القاطع، ونقل عنها المصحف الإمام؛ جامع لقراءات القرّاء السبعة وغيرها، ممّا يقرأ به الناس، ونقل متواتراً عن رسول الله (ص)؛ لأنّ الأحرف الواردة في الحديث غير هذه القراءات[(317)].

خامساً ـ عدد المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار:

لما فرغ عثمان رضي الله عنه من جمع المصاحف، أرسل إلى كل أفق بمصحف، وأمرهم أن يحرقوا كلَّ مصحف يخالف المصحف الذي أرسله إلى الافاق، وقد اختلفوا في عدد المصاحف التي فرّقها في الأمصار، فقيل: إنها أربعة، وقيل: إنها خمسة، وقيل: إنها ستة، وقيل: إنها سبعة، وقيل: ثمانية.

أما كونها أربعة، فقيل: إنه أبقى مصحفاً بالمدينة، وأرسل مصحفاً إلى الشام، ومصحفاً إلى الكوفة، ومصحفاً إلى البصرة. وأما كونها خمسة، فالأربعة المتقدم ذكرها ومصحف لأهل مكة. وأما كونها ستة فالخمسة المتقدمة، والسادس اختلف فيه، فقيل: جعله خاصاً لنفسه، وقيل: أرسله إلى البحرين. وأما كونها سبعة، فالستة المتقدم ذكرها، والسابع أرسله إلى اليمن. وأما كونها ثمانية، فالسبعة المتقدم ذكرها، والثامن كان لعثمان يقرأ فيه، وهو الذي قُتِلَ وهو بين يديه[(318)].

وبعث رضي الله عنه مع كل مصحف مَنْ يرشدُ الناسَ إلى قراءاته بما يحتمله

رسمه من القراءات مما صح وتواتر، فكان عبد الله بن السائب مع المصحف المكي، والمغيرة بن شهاب مع المصحف الشامي، وأبو عبد الرحمن السُّلمي مع المصحف الكوفي، وعامر بن قيس مع المصحف البصري، وأمر زيد بن ثابت أن يقرأئ الناس بالمدني[(319)].

من هذا الاستعراض يتضح أن حفظ القران الكريم قد تم بطريقة لم يحظ بها كتاب اخر في تاريخ البشرية كلها، وذلك لأن الله تعالى هو الذي تعهد بحفظه قائلاً: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ *} 9].

فوفق الله سبحانه نفراً من عباده الصالحين ليقوموا بهذا الدور العظيم؛ في ظل من الرعاية الإلهية التي حفظت لنا القران حفظاً كاملاً، حرفاً حرفاً، وكلمة كلمة، واية اية، وسورة سورة، في نفس لغة الوحي

«اللغة العربية» على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، وتعهد ربنا تبارك وتعالى بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً؛ حتى يبقى القران العظيم شاهداً على الخلق أجمعين بأنّه كلام رب العالمين[(320)].

سادساً ـ الفرق بين جمع الصديق، وجمع عثمان رضي الله عنهما:

الفرق بين جَمْع أبي بكر وجمع عثمان: أنَّ جمع أبي بكر كان لخشيته أن يذهب شيء من القران بذهاب حملته، لأنّه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتب الايات على ما وقفهم عليه النبي (ص).

وجمعُ عثمان كان لما كثُر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك إلى تخطئة بعضهم بعضاً، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتب الايات والسور، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، محتجاً بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم دفعاً للحرج والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى أنَّ الحاجة قد انتهت، فاقتصر على لغة واحدة[(321)].

* * *

الباب الثاني

الإيمان بالكتب السماوية

الفصل الأول: أهمية الإيمان بالكتب السماوية.

الفصل الثاني: وجوب الإيمان بالكتب السماوية.

الفصل الثالث: الكتب التي ورد ذكرها في القران الكريم.

الفصل الرابع: تحريف الكتب السابقة.

الفصل الخامس: القران الكريم نسخ الكتب السابقة كلها.

الفصل الأول

أهمية الإيمان بالكتب السماوية

1 . الإيمان بالكتب السابقة ركن من أركان الإيمان، لا يتم الإيمان إلا به.

2 . الإيمان بالكتب السابقة يؤكّد وحدة الرسالات الإلهية، وأنّ الإسلام جامعٌ لكلِّ الديانات السماوية، والمسلمون أولى الناس جميعاً بقيادة البشرية على نهج الإسلام، فالمؤمن يعتقدُ أنّ أي طائفة من أهل الكتاب يملكون أساساً وأصلاً لدينهم، وهذا ممّا يجعلُ أهل الكتاب قريبين من الإسلام والمسلمين لو أنصفوا، قال تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ *} [الشورى: 13].

3 . الإيمان بالكتب الإلهية جزءٌ من الإيمان بالقران، وجزءٌ من الإيمان بأنَّ الله سبحانه هو الهادي، وأنَّ هداية الله لم تنقطع عن البشر، فما مِنْ أمةٍ إلا وقد أنزل الله بها هدًى، قال تعالى: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ *} [فاطر: 24].

4 . المسلم يؤمن أنّ القران قد اشتمل على كلّ ما سبقه من كتب، وهو سليم من أي تحريف، فالقرانُ يصدق بالكتب السابقة، وهو المرجع الوحيد لبيان ما فيها من حق، قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ} [المائدة: 48].

5 . الإيمان بالكتب السابقة ينمي لدى المسلم الشعور بوحدة البشرية، ووحدة دينها، ووحدة رسلها، ووحدة مصدرها، وأنّ الأمة الإسلامية ورثت العقائد السماوية ووحدة النبوات منذ فجر البشرية، والمحافظة على تراث العقيدة،

وتراث النبوة، ورائدة موكب الإيمان على الأرض إلى اخر الزمان.

6 . الإيمان بالكتب السابقة، ينقي روح المؤمن من التعصب الذميم ضد الفصل الأول: أهمية الإيمان بالكتب السماوية.

الديانات، وضد المؤمنين بالديانات، ما داموا على الطريق الصحيح[(322)].

والموقف الذي ينبغي أن يتّخذه المسلم من تلك الكتب «التوراة والإنجيل»، أن يؤمن بما ورد فيها مما قرره القران الكريم، أمّا ما وردَ مخالفاً أصول القران العامة فلا يؤمن به، بل يعتقدُ في بطلانه، أما ماعدا ذلك من القصص والمواعظ التي لم يذكرها القران، ولا تناقض أصوله فلا يصدقها ولا يكذبها، وذلك اتباعاً لما ورد عن النبي (ص): «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان حقاً لم تكذبوهم، وإن كان باطلاً لم تصدقوهم»[(323)].

فأخبار أهل الكتاب على ثلاثة أقسام:

الأول: ما علمنا صحته، وشهد له بالصدق ما بأيدينا من الوحي؛ فذاك صحيح.

الثاني: ما علمنا كذبه، ودلّ على كذبه مخالفته لما لدينا من الوحي.

الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمنُ به ولا نكذبه، وتجوزُ حكايته لما أخرج البخاري في «صحيحه» أنّ النبيَّ (ص) قال: «بلغوا عني ولو اية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[(324)].

* * *

الفصل الثاني

وجوب الإيمان بالكتب السماوية

يجيء ذكر الإيمان بالكتب السماوية في القران في صيغة الأمر تارة، وصفة للمؤمنين تارة أخرى، كما يجيءُ عدم الإيمان بالكتب المنزلة أو الإيمان ببعضها دون البعض الاخر علامة على الكفر تارة ثالثة.

1. فمن أمثلة الأمر قوله تعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيْسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ *} [البقرة: 136].

2 .كما جاء في صيغة مشابهة له في سورة [آل عمران: 48] قال تعالى: {وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ *}

3 . وقد يأتي الأمر في صيغة مجملةٍ في مثل قوله في سورة [النساء: 136]، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ}

4 . أما وصف المؤمنين بأنهم هم الذين يؤمنون بالكتب المنزلة كلها فيجيء في مثل هذه الصيغة، قال تعالى: {الم *ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدَىً لِلْمُتَّقِينَ *الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ *} [البقرة: 1 . 4].

5 . أمّا وصف الذين لا يؤمنون بالكتب كلّها، أو الذين يؤمنون ببعضها، ويكفرون ببعض بأنهم كفّار، فيجيء في مثل قوله تعالى: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا *} [البقرة: 136].

6. وقال تعالى: {بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ} {مُهِينٌ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ *}[البقرة: 90 . 91].

ومفهوم هذه الايات وأمثالها، سواء كانت أمراً مباشراً، أو وصفاً للمؤمنين، أو وصفاً للكافرين، هو أنَّ الإيمانَ بالكتب السماوية كلها أمرٌ واجبٌ، لا يتمُّ إيمانُ المرء إلا به.

وذلك أمر بديهي بالنسبة للمؤمن، فما دام يؤمن بالله، وصدْقِ ما نزل من عنده من الوحي، وما دام الله يخبره في كتابه الكريم أنه قد أَنزل كتباً سابقة على الأنبياء والرسل، فالواجبُ أنّ يؤمنَ بهذه الكتب المنزلة، ويعتقد يقيناً أنها منزلة من عند الله، ولو شك في هذه الحقيقة، أو كذب بها فلن يكونَ مؤمناً على الإطلاق، وكيف يكون مؤمناً بالله حقاً، وهو يكذب خبراً اتياً إليه من الله، كذلك لو قال: إنّه يؤمن ببعض الكتب أنها منزلة من عند الله حقاً، ويشك ويكذّب أن غيرها من الكتب منزل من عند الله، فهل يكون مؤمناً بالله ولو زعم ذلك؟

إنّ من بين دعائم الإيمان: التصديق، فكيف يوجد الإيمان إذا كذَّب الإنسان حرفاً واحداً مما أخبره الله به؟ وما قيمةُ دعواه أنّه مؤمن بالله، أو مؤمن ببعض الكتب التي أنزلها الله؟ إنها دعوة مردودة على صاحبها؛ لأن الدليل العملي يكذّبها. ثم إن الكتب السماوية كلّها تحتوي على حقيقة واحدة، وهي الأمر بعبادة الله وحده.

ولقد اختلفت الكتب المنزلة في اللغات التي نزلت بها، لأن الله يقول: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *}[إبراهيم: 4].

وهذه الكتبُ نزلَت على أقوام مختلفين، فاختلفت من ثَمّ لغاتهم، كذلك اختلفت هذه الكتب فيما تحتويه من شرائع مختلفة للأقوام المختلفة، قال تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ} [المائدة: 48].

ولكنّ القضيةَ الأصليةَ في هذه ضشالكتب كلّها واحدةٌ لم تتغير، {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ *}[الأنبياء: 25].

وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}[النحل: 36].

وقال تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}[الشورى: 13].

كذلك نزلت الكتبُ كلُّها لتنذرَ الناس بيوم الحساب، قال تعالى: {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاَقِ *يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * يوم هُمْ بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ *}[غافر: 15 . 17].

وما دام الأمرُ كذلك، فالإيمانُ بالكتب كلّها هو كالإيمان بالكتاب الواحد سواء، والقضية عند المؤمن واضحة، ولا تحتاج إلى جدال، إنّما الجدال قد جاء في الحقيقة من أهل الكتاب؛ لأنّهم رفضوا أن يؤمنوا بأن القران منزل من عند الله، وحساب هؤلاء على الله[(325)]، كما أنّ أسلافهم قد حرَّفوا الكتب السماوية «التوراة والإنجيل».

* * *

الفصل الثالث

الكتب التي ورد ذكرها في القران الكريم

من الكتب التي أنزلت على الرسل السابقين ما سمّاه الله تعالى لنا في القران الكريم، ومنها ما لم يسمِّه لنا، فمن الكتبِ التي ورد ذكرها في القران الكريم:

1 . الصحف:

وكل الذي جاء في القران عنها قوله تعالى: {أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى *} [طه: 133] وقوله تعالى: {أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى *أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى *وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى *وأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى *ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى *وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى *}[النجم: 36 . 42] وقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى *وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى *بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا *وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى *إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى *صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى *}[الأعلى: 14 . 19].

2 . التوراة:

ذكر القران الكريم التوراة (18) مرة، وهو الكتاب الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام، وخلاصة حديثِ القران عن التوراة تستطيعُ إجماله في الاتي:

أ . وصف القران التوراة بأنها هدًى ونور وفرقان، وضياءٌ وذكرٌ، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ} [المائدة: 44] وقال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ *} [الأنبياء: 48].

ب . إن التوراة كتاب شامل لكل شيء، قال تعالى: {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً} [الأنعام: 154].

وتحدّث القران الكريم عن ألواح موسى عليه السلام، وقد وردت في ثلاثة مواضع، فقال تعالى: {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ} [الأعراف: 145] وقال تعالى: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ}[الأعراف: 150] وقال تعالى: {وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ *} [الأعراف: 154].

ج . إن الرسالات التي جاءت بعدها مصدقة لها، فلقد قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام: {وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ} [المائدة: 46] وقال عن محمد (ص): {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ *وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ * لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ * وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ا لَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ *}[البقرة: 87 . 89].

د . إنّ القران تحدث عن بعض الذي جاء في التوراة، ولنأخذ هذين المثالين:

الأول: قوله تعالى: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ *} [المائدة: 45].

الثاني: قوله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ} [الأعراف: 157][(326)].

هـ ذكر القران الذين كلفوا بحمل أمانة«التوراة» منهم من حملها بأمانة، ومنهم من لم يحملها، فقال تعالى عن الصالحين منهم: {وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ *} [الأعراف: 159].

وقال عن المفسدين منهم:

{الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *} [الجمعة: 5] لكنّ هؤلاء أصبحوا هم الكثرة الغالبة، فأخذ القران لا يتحدّثُ عن حملة التوراة «بني إسرائيل» إلا ويعمهم بالخيانة ونقض الميثاق، قال تعالى: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا

قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً} [المائدة: 13] وقال تعالى: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا *} [الإسراء:4].

و . أكد القران أن التوراة الموجودة الان بين أيدينا ليست هي التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام وإنما هي محرفة من قبل بني إسرائيل الذين خانوا العهد ونقضوا الميثاق[(327)] قال تعالى: {وَمِنْهُمْ أُمِيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ *فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيدِيهِمْ وَوَيلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ *} [البقرة: 78 . 79] وقال تعالى: {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ *} [البقرة: 75] وقال تعالى: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ} [المائدة: 13][(328)].

3 . الإنجيل:

وذكر القرانُ الكريمُ الإنجيل «12» مرة، ويكاد يكون حديث القران عن الإنجيل قريباً عن حديثه عن التوراة، إلا في بعض النقاط، والإنجيل هو الكتاب الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على عبده ورسوله عيسى عليه السلام.

أ . وصف القران الإنجيل بأنه هدى ونور وموعظة:

قال تعالى: {وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ *} [المائدة: 46].

ب . ومما ورد في القران الكريم:

أنّ الإنجيل جاء مكملاً أو معدلاً لما جاء في التوراة من أحكام، ولم يصف

القرانُ الإنجيلَ بما وصف به التوراة من أنه كتاب شامل يفصل كل شيء، بل على العكس، جاء وكأنه يصفه بمهمة محدودة هي نسخُ بعضِ ما ورد في التوراة من أحكام، لحكمةٍ يعلمُها الله، يقول القران على لسان عيسى {وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ}[آل عمران: 50].

ولهذا ربط القران بينهما في مهمة عيسى عليه السلام فقال: {وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ *وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ

فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ *} [آل عمران: 48 . 49].

ج . هناك فرق واضح في اهتمام القران، فالظاهر اهتمامه برسالة موسى أكثر من الإنجيل، ويظهر هذا في عدد المرات التي ذكرت فيها التوراة «81» مرة بينما ذكر الإنجيل «12» مرة، وذكر موسى «136» مرة بينما لم يذكر عيسى إلا «25» مرة، هناك إشارة ربما تكون أظهرَ في الدلالة على اهتمام القران بالتوراة أكثر من اهتمامه بالإنجيل، وهي قوله تعالى: {قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ *}[الأحقاف: 29.30][(329)].

د . جاءت في الإنجيل كما في التوراة البشارة بالرسول (ص)، قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *} [الأعراف: 157] وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ *}[الصف: 6][(330)].

هـ إنّ القران جاء مصدقاً أيضاً لرسالة عيسى عليه السلام كما هو مصدِّقُ لجميع الرسالات السابقة قال تعالى:

{وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ *} [آل عمران: 81] وقال تعالى: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ} {يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ *}[البقرة: 97].

و . وتحدث القرانُ عن حملة الإنجيل كما تحدّث عن حملة التوراة، فقسّمهم إلى قسمين: فئةٌ وقفت مع الإنجيل الحقّ، وأخرى كاذبةٌ كافرةٌ خائنةٌ، فقال عن الأولى: {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ *رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا

أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ *} [آل عمران: 52 . 53] وأما الثانية فهم: {وَمِنَ الَّذِينَ} {وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ *}[المائدة: 14].

ز . ويخلص القرانُ إلى أنّ الإنجيل الذي بين أيدينا الانَ ليس هو كلام الله، بل هو من تحريف المحرّفين، قال تعالى: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ *مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِّيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ *} [آل عمران: 78 . 79].

والحقيقة أنّ القران لا يفصّل في مقدار التحريف الذي ورد على التوراة والإنجيل، وكأنّ هدفه فقط أن يقول لنا إنّ هذين الكتابين ليسا مصدرَ ثقة، لأن الأهواء دخلتهما، أمّا التفصيل فلا نحتاجه نحن، وأيضاً فإنَّ مقدار التحريف مختلِفٌ زماناً ومكاناً ومذاهبَ[(331)]، فلم يهتم القرانُ إلا بالذي فيه الفائدة للناس.

4 . الزبور:

هو الكتاب الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على داود عليه السلام، والزبورُ في اللغة هو الكتابُ المزبور أي المكتوبُ، وجمعه زُبُرٌ، وكل كتاب يسمّى زبوراً، قال تعالى: {وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ *} [القمر: 52] أي مسجّلٌ في كتب

الملائكة، ثم غلب إطلاقُ لفظ الزبور على ما أنزل على داود عليه السلام، قال تعالى: {وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا *} 163].

وأخبر سبحانه وتعالى أنّ مما كتبه في الزبور وراثةُ الصالحين الأرضَ، قال سبحانه: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ *} [الأنبياء: 105] وقال تعالى: {وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا *} [النساء: 163].

هذه هي الكتب السابقة التي سمّاها الله لنا في كتابه، إلا أنّه توجد كتب أخرى أُنزلت ولم تسمّ لنا، بل ذكرت مجملةٌ، كما في قوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}[الحديد: 25].

وعلينا أن نؤمنَ بهذه الكتب التي لم تسمَّ إجمالاً، كما أنّه لا يجوزُ لنا أن ننسب كتاباً إلى الله تعالى سوى ما نسبه إلى نفسه، وأخبرنا القرانُ الكريمُ أنه من الكتب التي أنزلها تعالى على رسولٍ من رسله[(332)].

* * *

الفصل الرابع

تحريف الكتب السماوية السابقة

أخبرنا الله في كتابه المنزل أنّ أهل الكتاب حرّفوا كتبهم، فلم تعد في صورتها التي أنزلها.

فقد جاء عن اليهود قوله تعالى: {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} [النساء: 46]

وقال تعالى: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ}[المائدة: 13] وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ}[المائدة: 41].

وجاء عن النصارى قوله تعالى: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ *}[آل عمران: 78].

وإذ تدبرنا هذا الأمرَ وجدنا أنّ هناك ثلاثةَ أنواعٍ من التحريف على الأقل قد وقعت في كتبِ أهلِ الكتاب، وكلُّها وردتِ الإشارةُ إليه في القران[(333)].

1 ـ تحريف المعنى مع بقاء اللفظ على ما هو عليه:

إن الله قد حرّم الربا في جميع كتبه المنزلة: التوراة والإنجيل والقران. والتوراةُ التي بين أيدي اليهود اليوم ـ رغم كل ما حدث فيها من تحريفات شنيعة ـ ما تزال تحمل نصّاً بتحريم الربا، ونصاً بوجوب الأمانة في التعامل مع الناس،

ومع ذلك فاليهود ـ كما هو معلوم ـ يتعاملون بالربا على نطاق دولي، ويسلبون عن طريقه أموالَ الناس بغير حق، وعن ذلك يقول الله تعالى: {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا *وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *} [النساء: 160 ـ 161].

فكيف تحايلوا على النصّ الموجود في كتابهم، أو بعبارةٍ أخرى حرّفوه ليبيحوا لأنفسهم التعامل بالربا مع الناس، وسلب أموالهم؟

لقد قالوا: إنّ الربا غيرُ جائز في التعامل مع اليهود، وكذلك الأمانةُ واجبةٌ في تعامل اليهود بعضهم مع بعض، أمّا إنْ كان الذي نتعامل معه من غير اليهود فلا بأسَ عليك أن تتعامل معه بالربا، ولا بأس عليك أن تأكلَ ماله، وذلك ما وردت عنه الإشارةُ في سورة ال عمران، قال تعالى: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ *} [آل عمران: 75].

أي: إنّهم قالوا: لا حرجَ علينا في سلب أموال «الأميين» الذين ليسوا يهوداً، ويزعمون أنّ الله أباحَ لهم ذلك، وهم يعلمون أنّ هذا كذبٌ على الله، فإنّه حرّم عليهم الربا إطلاقاً، وحرّم عليهم سلبَ أموالِ الناس جميعاً، أُميين وغير أُميين[(334)].

2 ـ التحريف بالتغيير والإضافة:

ـخ فأمّا اليهود فقد أضافوا إلى التوراة مجموعةً من القصص والأساطير ما أنزل الله بها من سلطان، بعضُها يصل إلى حَدِّ الفُحش في حقِّ أنبيائهم، وما من أنبيائهم إلا ألصقوا به سلوكاً لا يليقُ بالرجل العادي، فضلاً عن النبي المعصوم، بل إنهم تجرؤوا على مقام الألوهية، وقالوا في حق الله سبحانه وتعالى كلاماً لا يخرجُ من فم مؤمن قط، ولا يخطر له على بال، وقد ظلوا يردّدون هذه الأقوال وغيرها حتى زمن الرسول (ص)، وسجل عليهم القران أقوالهم، ومعتقداتهم الفاسدة، قال تعالى:

{بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ *} [آل عمران: 181 ـ 182].

ـخ وأما الإنجيل فيحوي من التغيير والإضافة ما لا يقلُّ سخفاً وبشاعة، ولكن في اتجاه اخر، ذلك هو تأليه عيسى عليه السلام، والزعم بأنّه ابن الله، قال تعالى: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِّيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا

كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ *}[آل عمران: 78 . 80].

وأسطورةُ ألوهية عيسى وبنوته لله وكون الله ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس، كلُّها إضافات أضيفت إلى الإنجيل المنزل من عند الله، كتبوها بأيديهم، وزعموا أنها من عند الله، وقد ردّ القران عليهم ردّاً مفصلاً في أكثر من سورة، وبيّن حقيقة التوحيد، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ *مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ *}[المائدة: 116 . 117].

ولكنّ المهم أنّ أناجيلهم الأربعة المعتمدة «إنجيل مرقص» و«إنجيل لوقا» و«إنجيل متى» و«إنجيل يوحنا»[(335)]، متضاربةٌ بعضها مع بعض في هذا الشأن، مما ينفي أن تكون كلّها من مصدر واحد، فضلاً عن أن يكون مصدرُها هو الله، وفضلاً عن ذلك كله فإنّ هناك إنجيلاً خامساً هو «إنجيل برنابا» منعتِ الكنيسةُ تداوله، وأحرقت ما وقع في يدها من نسخه، وهددت مَنْ يوجدُ عنده بإصدار قرار حرمانٍ ضده، أي: الحرمان . في زعمهم . من رضوان الله ومغفرته . لأنه يقرر أنّ عيسى رسولٌ بشرٌ، وليس ربّاً ولا إلهاً، وأنّه بَشَّرَ ببعثةِ محمد (ص) من بعده[(336)].

3 . التحريف بالكتمان:

فهو على نوعين: كتمانُ أحكام الشريعة، وكتمانُ الإشارة إلى بعثة محمد (ص).

أما كتمان أحكام الشريعة فالقرانُ يسجّل عليهم أنّهم أمروا بعدم الكتمان فعصوا الله، قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ *} [آل عمران: 187] قال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ *}[البقرة: 146].

ويسجّل عليهم أنّ الله أخذ عليهم ميثاقاً بأنْ يؤمنوا بكلِّ رسولٍ يأتي من عند الله مصدقاً لما معهم، كما يسجّل عليهم أنَّ خبر بعثة محمد (ص) موجود عندهم في التوراة والإنجيل، قال تعالى: {وَإِذْ

أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ *فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ *} [آل عمران: 81 . 82].

وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ *}[الصف: 6]. وقال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *}[الأعراف: 157].

وعلى الرغم من هذه الوصايا كلّها لأهل الكتاب فقد عَصَوْا أمر ربِّهم، وكتموا الحق الذي أُمروا بإعلانه على الناس.

وأمّا إنكارهم لبعثة الرسول (ص)، فقد اجتهدوا في مَحْوِ كلِّ ذكر صريح له عليه الصلاة والسلام في كتبهم، وأخفوه عن الناس، ومع كل اجتهادهم هذا فقد بقيتْ إشاراتٌ في التوراة والإنجيل، لا يمكن تفسيرها إلا بأنها إشارةٌ لمجيء الرسول (ص)[(337)].

وصدق الله العظيم إذ يقول: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ *}[البقرة: 146]. وقال تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ}[البقرة: 109]. وقال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ *بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِن ْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ * مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ *}[البقرة: 89 . 90].

* * *

الفصل الخامس

القران الكريم نسخ الكتب السابقة كلها

شاء الله سبحانه وتعالى أن ينسخَ الكتب السابقة كلّها وينزّل كتابه الأخير ليبقى في الأرض إلى قيام الساعة، كان كل رسول من السابقين يرسَلُ إلى قومه خاصة، بينما بُعِثَ الرسول محمد (ص) إلى البشرية كافة، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ *} [الأعراف: 158]. وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ: 28].

وكذلك كانت الكتب السابقة تنزل لأقوام معينين، بينما أنزل القران للناس كافة، قال تعالى: {وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ *} [القلم: 52].

لذلك اقتضت مشيئة الله أن ينسخ هذا الكتاب الشامل الكامل ما سبقه من الكتب جميعاً، ويهيمن عليها، قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ *وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَن ّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ *أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ *} [المائدة: 48 . 50].

ولم يعد يقبل من أحد أن يستمسك بما سبق من الكتب ويرفض القران، قال

تعالى: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} [المائدة: 68].

وإقامة التوراة والإنجيل بالنسبة لأهل الكتاب المخاطبين بهذه الاية معناها: الإقرار بوحدانية الله، ذلك أنّ التوراة والإنجيل المنزَّلين من عند الله يقرران هذه الوحدانية تقريراً جازماً، ولكنَّ أهل الكتاب حرفوهما، فالمطلوب منهم هو إقامتها مرة أخرى، أي: الرجوع إلى أصل التوحيد، ثم إنّ التوراة والإنجيل قد ذكرا محمداً (ص) وأمرا باتباعه عند ظهوره، فإقامتهما معناها والإيمان بالرسول (ص)، وما نزل عليه من وحي، أي: الإسلام، قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ} [آل عمران: 19].

وقال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ *} [آل عمران: 85].

وقال رسول الله (ص): «والذي نفسُ محمّدٍ بيده، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموتُ ولا يؤمنُ بالذي أرسلت به إلا كان من أصحابِ النارِ»[(338)].

* * *

خلاصة الباب

وفي خلاصة هذا الباب يتّضحُ لنا:

1 . أنّ الله عز وجل أنزل كتباً ورد ذكرها في القران الكريم، هي بترتيبها التاريخي كما يأتي: صحف إبراهيم . التوراة . الزبور . الإنجيل . القران.

2 . وأنّ هذه الكتب جميعاً تحتوي على حقيقة أساسية هي وحدانية الله عز وجل، ووجوبُ إخلاصِ العبادة له من غير شريك، وطاعتُه فيما يأمر به وينهى عنه.

3 . أنّ الكتب السابقة على القران لم يعد لها وجودٌ في صورتها المنزلة؛ لأنها إما ضاعت، ولم يعد لها أثر معروف، كصحف إبراهيم، وإمّا حرفت على أيدي أصحابها كالتوراة والإنجيل.

4 . أنّ التحريف الغالبَ إمّا بالتغيير والإضافة، وإما بالكتمان، ومن أبرز الإضافات أساطيرُ التوراة، وقصةُ تأليه عيسى عليه السلام، وقصةُ التثليث، ومن أبرز ما كتموه الإخبارُ عن بعثة الرسول (ص).

5 . أنّ مشيئة الله قد اقتضت نسخَ الكتب السابقة كلّها ما ضاع منها وما حرف، وأنزل القران مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، ومهيمناً عليه، وناسخاً لكل ما سبق تنزيله من عند الله[(339)].

* * *

الخاتمة

وبعد؛ فهذا ما يسره الله لي من الحديث عن الإيمان بالقران الكريم والكتب السماوية في هذا الكتاب، وقد سميته «الإيمان بالقران الكريم والكتب السماوية»، فما كان فيه من خطأ، فأستغفرُ الله تعالى، وأتوبُ إليه، واللهُ ورسولُه بريئان منه، وحسبي أني كنتُ حريصاً ألا أقع في الخطأ، وعسى ألا أحرمَ من الأجر.

وأدعو الله أن ينفعَ بهذا الكتاب الإنسان أينما وجد، ويكون سبباً في زيادة إيمانه، وهدايته، أو تعليمه، أو تذكيره، وأن يذكرني من يقرؤه من إخواني المسلمين في دعائه، فإنّ دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابةٌ إن شاء الله تعالى. وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا *} [النساء: 69].

وبقول الشاعر:

يا مُنْزِلَ الاياتِ والفُرقانِ بيني وبينكَ حُرْمَةُ القرانِ
اشرحْ به صدري لمعرفةِ الهُدَى واعصمْ به قَلْبِي مِنَ الشَّيطانِ
يَسِّرْ به أَمْرِي واقْضِ ماربي وأَجِرْ به جَسَدِي من النِّيَرَانِ
واحْطُطْ به وزري وأَخْلِص نيَّتي واشْدُدْ به أَزْرِي وأَصْلِحْ شَاني
واكْشِفْ به ضُرِّي وحَقِّق توبتي وأرْبِحْ به بَيْعِي بلا خُسْرانِ
طَهِّرْ به قلبي، وصفِّ سريرتي أَجْمِلْ به ذكري وَأَعْلِ مَكَاني
واقْطَعْ به طَمَعِي وشَرِّف هِمَّتي كَثِّرْ به وَرَعِي وَأحْي جَنَاني
أَسْهِرْ به لَيْلِي وَأَظْمِ جَوَارِحِي أسْبِلْ بِفَيْضِ دموعها أجْفَاني
وامْزُجْهُ يا رَبِّ بِلَحْمِي مَعْ دَمِي واغْسِلْ به قَلْبِي مِنَ الأَضْغَانِ

أَنْتَ الذي صَوَّرْتَنِي وخَلَقْتَنِي وَهَدَيْتَنِي لِشَرَائِعِ الإِيْمَانِ
أَنْتَ الَّذي عَلَّمْتَنِي ورَحِمْتَنِي وَجَعَلْتَ صَدْرِي وَاعِيَ القُرْانِ
أَنْتَ الَّذي أَطْعَمْتَنِي وَسَقَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ كَسْبِ يَدٍ ولا دُكَّانِ
وَجَبَرْتَنِي وَسَتَرْتَنِي وَنَصَرْتَنِي وَغَمَرْتَنِي بِالفَضْلِ والإحْسَانِ
أَنْتَ الَّذِي اوَيْتَنِي وَحَبْوتَنِي وَهَدَيْتَنِي مِنْ حَيْرَةِ الخُذْلانِ
وَزَرَعْتَ لي بَيْنَ القُلُوْبِ مَوَدّةً والعطف منك برحمةٍ وحَنَانِ
وَنَشَرْتَ لي في العالمينَ مَحَاسِناً وَسَتَرْتَ عَنْ أبْصَارِهِمْ عِصْيَانِي
وَجَعَلْتَ ذِكْرِي في البَرِيَّةِ شائِعاً حَتَّى جَعَلْتَ جَمِيْعَهُم إِخْوَانِي
واللهِ لو عَلِمُوا قَبِيْحَ سَرِيْرَتِي لأبَى السَّلامَ عَليَّ مَنْ يَلْقَانِي
وَلأَعْرَضُوْا عَنِّي وَمَلُّوا صُحْبَتِي ولَبُؤْتُ بَعْدَ كرامةٍ بِهَوَانِلكنْ سَتَرْتَ مَعَايِبِي ومَثَالِبِي
وَحَلِمْتَ عن سَقْطِي وعن طُغْيانِيفلكَ المِحَامِدُ والمِدَائِحُ كلُّها بِخَوَاطِرِي وَجَوَارِحِي
وَلِسَانِي سبحانك اللهمّ وبحمدك، أشهدُ أن لا إله إلاّ أنتَ، أستغفرك، وأتوب إليك.

* * *

فهرس الموضوعات

الإهداء4
مقدمة5
الباب الأول
الإيمان بالقران الكريم
الفصل الأول: القران الكريم: تعريفه، وعظمته، وأسماؤه، وصفاته11
المبحث الأول: تعريف القران الكريم13
أولاً: القران لغة13
ثانياً: القران اصطلاحاً15
المبحث الثاني: عظمة القران الكريم16
1 . ثناء الله على كتابه16
2 . عظمة منزّله سبحانه وتعالى17
3 . فضل جبريل الذي نزل بالقران18
4 . القران تنزيل رب العالمين18
5 . القران مستقيم ليس فيه عوج19
6 . خشوع الجبال وتصدُّعها20
7 . انقياد الجمادات لعظمة القران21
8 . تحدي الإنس والجن بالقران22
المبحث الثالث: أسماء القران الكريم24

1 . الفرقان24
2 . البرهان25
3 . الحق26
4 . النبأ العظيم28
5 . البلاغ28
6 . الروح28
7 . الموعظة29
8 . الشفاء29
9 . أحسن الحديث30
المبحث الرابع: صفات القران الكريم32
1 . الحكيم32
2 . العزيز33
3 . الكريم34
4 . المجيد34
5 . العظيم35
6 . البشير والنذير35
7 . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه35
الفصل الثاني: خصائص القران الكريم37
أولاً: القران الكريم كتاب إلهي39
ثانياً: القران الكريم كتاب محفوظ41
ثالثاً: القران الكريم كتاب معجز43
1 . تعريف المعجزة43
2 . شروط المعجزة43
3 . القران الكريم هو المعجزة العظمى44
4 . وجوه إعجاز القران47

رابعاً: كتاب مبين وميسر49
خامساً: كتاب هداية50
سادساً: كتاب الإنسانية كلها53
سابعاً: كتاب الزمن كله55
ثامناً: نزوله بأرقى اللغات وأجمعها56
تاسعاً: تصديق القران لكتب الله وهيمنته عليها57
1 . علاقة الهيمنة بالتصديق58
2 . مظاهر هيمنة القران على الكتب السابقة58
أ . إخباره بتحريف الكتب السابقة وتبديلها58
ب . بيان المسائل الكبرى خالفوا فيها الحق58
ج . بين القران كثيراً من المسائل التي أخفوها59
الفصل الثالث: مقاصد القران الكريم61
أولاً: تصحيح العقائد والتصورات63
أ . القران العظيم من أوّله إلى اخره دعوة إلى التوحيد63
ب . تصحيح العقيدة في النبوة والرسالة64
ج . تثبيت عقيدة الإيمان بالاخرة65
ثانياً: تزكية النفس البشرية66
ثالثاً: عبادة الله وتقواه68
رابعاً: إقامة العدل بين الناس74
خامساً: الشورى75
سادساً: الحرية77
1 . حرية الاعتقاد80
2 . حرية التعبير82
3 . حرية الفكر83
4 . حرية التنقل86

سابعاً: رفع الحرج88
ثامناً: تقرير كرامة الإنسان90
1 . الإنسان خليفة في الأرض90
2 . الإنسان محور الرسالات السماوية91
3 . تكليف الملائكة بالسجود لادم92
4 . تفضيل الإنسان عن سائر المخلوقات92
5 . تسخير ما في الكون للإنسان92
6 . تكريم الإنسان بالعقل93
7 . تكريم الإنسان بالأخلاق والفضائل94
8 . تكريم الإنسان في تشريع الأحكام95
أ . وجود الإنسان95
ب . حقوق الأولاد96
ج . احترام إرادة الإنسان في العقود والتصرفات96
د . العقوبات97
تاسعاً: تقرير حقوق الإنسان98
1 . حق الحياة98
2 . حق الحرية98
3 . حق المساواة99
4 . حق العدالة100
5 . حق الفرد في محاكمة عادلة100
6 . حق الحماية في تعسف السلطة101
7 . حق الفرد في حماية عرضه وسمعته101
8 . حق اللجوء102
9 . حقوق الأقليات102
10 . حق المشاركة في الحياة العامة102

11 . حق الدعوة والبلاغ103
12 . الحقوق الاقتصادية104
13 . حق حماية الملكية105
14 . حق العامل105
15 . حق الفرد في كفايته من مقومات الحياة106
16 . تأكيد حقوق الضعفاء106
عاشراً: تكوين الأسرة الصالحة108
الحادي عشر: إنصاف المرأة وتحريرها من ظلم الجاهلية113
1 . في مساواة المرأة للرجل في التكليف والتدين والعبادة114
2 . في التكاليف الدينية الاجتماعية الأساسية114
3 . وفي قصة ادم وتوجه التكليف الإلهي114
4 . وفي مساواة المرأة للرجل في الجزاء115
5 . وفي الحقوق المالية للمرأة115
6 . المرأة باعتبارها أماً116
7 . المرأة باعتبارها بنتاً117
8 . المرأة باعتبارها زوجة118
9 . المحافظة على أنوثة المرأة120
الثاني عشر: بناء الأمة الشهيدة على الناس123
أوصاف الأمة الأساسية في القران الكريم124
1 . الربانية124
2 . الوسطية125
3 . الدعوة125
4 . الوحدة125
الثالث عشر: السماحة127
الرابع عشر: الرحمة130

الخامس عشر: الوفاء بالعهود والعقود133
1 . الترغيب بالوفاء بالعهد133
2 . الأوامر القرانية بالوفاء بالكيل والوزن133
3 . الأمر بالوفاء بالعقود137
4 . الأمر بالوفاء بالنذر137
5 . تنويه القران الكريم بأهل الوفاء138
6 . ما أعده الله لأهل الوفاء من الأجر والجزاء139
الفصل الرابع: جمع القران وكتابته141
أولاً: جمع القران الكريم كتابة من فم رسول الله (ص)143
ثانياً: جمع القران الكريم في مصحف واحد على عهد الخليفة الأول
أبي بكر الصديق رضي الله عنه146
ثالثاً: جمع القران الكريم في عدد من المصاحف على عهد ذي النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان
رضي الله عنه151
1. الباعث على جمع القران في عهد عثمان151
2 . استشارة جمهور الصحابة في جمع عثمان153
رابعاً: هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة؟154
خامساً: عدد المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار155
سادساً: الفرق بين جمع الصّديق وجمع عثمان رضي الله عنهما156

الباب الثاني
الإيمان بالكتب السماوية
الفصل الأول: أهمية الإيمان بالكتب السماوية159
الفصل الثاني: وجوب الإيمان بالكتب السماوية161
الفصل الثالث: الكتب التي ورد ذكرها في القران الكريم165

1 . الصحف165
2 . التوراة165
3 . الإنجيل167
4 . الزبور169
الفصل الرابع: تحريف الكتب السماوية السابقة171
1 . تحريف المعنى مع بقاء اللفظ على ما هو عليه171
2 . التحريف بالتغيير والإضافة172
3 . التحريف بالكتمان174
الفصل الخامس: القران الكريم نسخ الكتب السابقة كلها177
خلاصة الباب 179
الخاتمة181
فهرس الموضوعات183

* * *

الحواشي:

.[1] معجم مقاييس اللغة، (396/2)، المصباح المنير، ص (259)، لسان العرب، (128/1 . 131).

.[2] لسان العرب (1/ 128) مادة ((قرأ)).

.[3] معنى مهموز: أنّ الهمزة في لفظ «القران» أصلية، من «قرأ».

.[4] عظمة القران الكريم، محمود الدوسري ص (47).

.[5] لسان العرب (128/1).

.[6] عظمة القران الكريم ص (47)، ومن القائلين بهذا القول الزجاج.
.[7] البرهان في علوم القران، للزركشي (278/1).
.[8] الإتقان في علوم القران، للسيوطي ص (137).
.[9] عظمة القران الكريم ص (49).
.[10] المصدر نفسه ص (49).
.[11] التفسير الكبير (27 / 167).
.[12] عظمة القران الكريم ص(59).
.[13] النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد بن حمد (1 / 265).
.[14] عظمة القران الكريم ص (60).
.[15] عظمة القران الكريم ص (93).
.[16] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (402/30).
.[17] تفسير السعدي (485/3).
.[18] التفسير الكبير، للرازي (64/21).
.[19] تفسير ابن كثير (53/4)، تفسير السعدي (723/1. 724).
.[20] عظمة القران الكريم ص (70).
.[21] المصدر نفسه ص (70).
.[22] أضواء البيان (76/8).
.[23] التحرير والتنوير (104/28).
.[24] تفسير ابن كثير (343/4. 344).
.[25] تفسير أبي السعود (233/8) زاد المسير (224/8).
.[26] الكشاف، للزمخشري (498/2)، عظمة القران الكريم ص (72).
.[27] تفسير أبي السعود (21/5. 22).
.[28] عظمة القران الكريم ص (73).
.[29] عظمة القران الكريم ص (75).
.[30] المصدر نفسه ص (76).

.[31] عظمة القران الكريم ص (77).

.[32] المصدر نفسه ص (77).

.[33] عظمة القران الكريم ص (152).

.[34] عظمة القران الكريم ص (153).

.[35] المصدر نفسه ص (154).

.[36] المصدر نفسه.

.[37] فتح القدير (542/1)، أضواء البيان (7/79 . 80).

{قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ *}

.[38] مفاتيح للتعامل مع القران ص (34).

.[39] عظمة القران الكريم ص (156).

.[40] فتح القدير، للشوكاني (401/5).

.[41] تفسير القرطبي (295/11).

.[42] تفسير الثعالبي (529/1).

.[43] أضواء البيان (246/7).

.[44] تفسير ابن كثير (315/3).

.[45] تفسير أبي السعود (195/4).

.[46] فتح القدير، للشوكاني (288/2).

.[47] تفسير السعدي (359/2).

.[48] زاد المسير (466/6).

.[49] في ظلال القران (2915/5).

.[50] عظمة القران الكريم ص (161).

.[51] تفسير ابن كثير (43/4).

.[52] عظمة القران الكريم ص (162).

.[53] تفسير السعدي (428/1).

{يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ}

[54]. تفسير السعدي (435.434/4).
[55]. التفسير المنير في العقيدة والشريعة، وهبة الزحيلي (213/6).
[56]. عظمة القران الكريم ص (173).
{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ}
[57]. روح المعاني (176/11).
[58]. عظمة القران الكريم ص (175).
[59]. عظمة القران الكريم ص (176).
[60]. المصدر نفسه ص (177).
[61]. المصدر نفسه ص (178).
[62]. المصدر نفسه ص (179).
[63]. في ظلال القران (2958/5).
[64]. تفسير ابن عطية (19/5).
[65]. زاد المسير (151/8).
[66]. التفسير المنير (545/15).
[67]. عظمة القران الكريم ص (196).
[68]. الكشاف، للزمخشري (549/2).
[69]. تفسير ابن عطية (4/5).
[70]. عظمة القران الكريم ص (199).
[71]. كيف نتعامل مع القران الكريم؟، د.يوسف القرضاوي ص (21).
[72]. المصدر نفسه د.يوسف القرضاوي ص (21)، نقلاً عن التبيان في أقسام القران، لابن قيم الجوزية.
[73]. كيف نتعامل مع القران؟ ص(22).
[74]. المصدر نفسه ص(24).
[75]. عظمة القران الكريم ص (109).
[76]. المصدر نفسه ص (107).

.[77] كيف نتعامل مع القران العظيم؟ ص (32).

.[78] الإتقان في علوم القران، للسيوطي (4/ 3)، مباحث في إعجاز القران، مصطفى مسلم ص (14).

.[79] مباحث في إعجاز القران ص (18).

.[80] رواه الشيخان، اللؤلؤ والمرجان ص (93).

.[81] رسالة خاتم النبيين محمد، د. ثامر بن ناصر ص (155).

.[82] رسالة خاتم النبيين محمد، د. ثامر بن ناصر ص (155).

.[83] المصدر نفسه ص (155).

.[84] شرح مسلم، للنووي (2/ 188).

.[85] رسالة خاتم النبيين محمد ص (157).

.[86] ثم أصدر رحمه الله قبيل وفاته كتاباً بعنوان «المعجزة الكبرى القران».

.[87] كيف نتعامل مع القران العظيم؟ ص (34).

.[88] من ايات الإعجاز العلمي، السماء في القران ص (12، 13).

.[89] عظمة القران الكريم ص (103).

.[90] كيف نتعامل مع القران العظيم؟ ص (40).

.[91] إعجاز القران الكريم، د. محمد صادق درويش ص (46).

.[92] إعجاز القران الكريم، د. محمد صادق درويش ص (47).

.[93] المصدر نفسه ص (48).

.[94] إعجاز القران الكريم ص (48).

.[95] المصدر نفسه ص (48)، تفسير ابن كثير (68/2).

.[96] إعجاز القران الكريم، د. محمد صادق درويش ص (49).

.[97] تفسير ابن كثير (13/2).

.[98] عظمة القران الكريم ص (110).

.[99] كيف نتعامل مع القران العظيم؟ ص (60).

.[100] كيف نتعامل مع القران العظيم؟ ص (62).

.[101] المصدر نفسه ص (56).

.[102] دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، د. محمد عبد الله دراز ص (18).

.[103] لغة القران مكانتها والأخطار التي تهددها، إبراهيم محمد أبو عباه ص (11، 12).

.[104] عظمة القران الكريم ص (98).

.[105] تفسير الطبري (6/ 266. 267).

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ *لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *}

.[106] عظمة القران الكريم ص (124).

.[107] عظمة القران الكريم ص (126) تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً.

.[108] عظمة القران الكريم ص (126).

.[109] المصدر نفسه ص (126).

.[110] كيف نتعامل مع القران العظيم؟ ص (66).

.[111] المصدر نفسه ص (67).

.[112] كيف نتعامل مع القران العظيم؟ ص (68).

.[113] كيف تتعامل مع القران الكريم؟ ص (85).

.[114] العبادة في الإسلام، للقرضاوي ص (53).

.[115] مجموع الفتاوى لابن تيمية (150/10).

.[116] فقه النصر والتمكين في القران الكريم، للمؤلف ص (185).

.[117] كيف نتعامل مع القران الكريم؟ ص (79).

.[118] فقه النصر والتمكين، للمؤلف ص (204).

.[119] مسلم رقم (2637).

.[120] البخاري، رقم 6986.

.[121] مسلم، (2642).

.[122] محاسن التأويل، للقاسمي (5/ 47).

.[123] فقه النصر والتمكين ص (209).

.[124] كيف نتعامل مع القران العظيم؟ ص (82).

.[125] انظر: في ظلال القران (2/ 414).

.[126] الوسطية في القران الكريم، للمؤلف ص (94).

.[127] الشورى في معركة البناء، أحمد الريسوني ص (21).

.[128] الشورى مراجعات في الفقه والسياسة، د. أحمد الإمام ص (15).

.[129] الشورى فريضة إسلامية، للمؤلف ص (24).

.[130] مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر بن عاشور ص (393).

.[131] المصدر نفسه ص (392).

{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ}

.[132] مقاصد الشريعة ص (393).

.[133] حقوق الإنسان في الإسلام، د.مبارك سيف الهاجري وعبد المنعم حسين العمري ص (107).

.[134] البخاري رقم (2552) مسلم رقم (2249).

.[135] مقاصد الشريعة، محمد الطاهر بن عاشور ص (395).

.[136] المصدر نفسه ص (395).

.[137] مقاصد الشريعة ص (396).

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ}

.[138] حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، د. صالح عبد الله الراجحي ص (111).

.[139] مسلم رقم (7).

.[140] مسلم رقم (4458).

.[141] تفسير ابن كثير (529/1)، حرية التعبير، محمد بن محمد الخرعان ص (45).

.[142] حرية التعبير، د. محمد الخرعان ص (46).

{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ}

.[143] حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، محمد الغزالي ص (80 . 81)، حقوق الإنسان، د. هاني الطعيمات ص (154).ح

.[144] حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ص (155).

.[145] حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ص(155).

.[146] حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ص (156).

.[147] مقاصد الشريعة، محمد الطاهر بن عاشور ص (397).

.[148] المصدر نفسه ص (397).

.[149] حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ص (140).

.[150] المصدر نفسه ص (140).

.[151] تفسير الطبري (2 / 156)، تفسير ابن كثير (1 / 217).

.[152] تفسير الطبري (17 / 207).

.[153] الوسطية في ضوء القران، د.ناصر العمر ص (106).

.[154] مسلم، رقم (126).

.[155] رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، صالح بن حميد ص (73).

.[156] حقوق الإنسان، د. محمد الزحيلي ص (21).

.[157] حقوق الإنسان، للزحيلي ص (22).

.[158] مجموع الفتاوى (48/20).

.[159] الموافقات للشاطبي (195/1).

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا}

.[160] حقوق الإنسان، للزحيلي ص (28).

.[161] حقوق الإنسان في الإسلام، للزحيلي ص (54).
{إِنَّ فِي}
.[162] حقوق الإنسان للزحيلي ص (64).
.[163] البخاري (564)، سنن البيهقي (10/ 192).
.[164] حقوق الإنسان، للزحيلي ص (64).
.[165] المصدر نفسه ص (66).
.[166] محاسن التأويل، للقاسمي (13/ 4772).
.[167] التفسير المنير، للزحيلي (28/ 316. 320).
.[168] حقوق الإنسان ص (72).
.[169] الفتح الكبير في ضم الزيادات إلى الجامع الكبير، للسيوطي؛ نقلاً عن حقوق الإنسان ص (72).
.[170] حقوق الإنسان، للزحيلي ص (73).
.[171] المصدر نفسه ص (74).
.[172] حقوق الإنسان للزحيلي ص (78).
.[173] حقوق الإنسان، لمحمد الغزالي ص (174).
.[174] المصدر نفسه ص (174).
.[175] مسند الإمام أحمد (5 / 411).
.[176] مسلم، (3 / 1315).
.[177] من خطبة حجة الوداع، نقلاً عن حقوق الإنسان، للغزالي ص (175).
.[178] المصدر نفسه ص (175).
{إِنْ}
.[179] حقوق الإنسان، للغزالي (175).
.[180] حقوق الإنسان، للغزالي ص (176).
.[181] صحيح مسلم، رقم (889).
.[182] حقوق الإنسان، محمد الغزالي ص (177).

.[183] صحيح سنن أبي داود، الألباني (525/2).

.[184] التاريخ الإسلامي، عبد العزيز الحميدي (28/9) الشورى فريضة إسلامية للمؤلف ص (56).

.[185] حقوق الإنسان، للغزالي ص (179).

.[186] كيف نتعامل مع القران العظيم؟ ص (74).

{وَقُلِ اعْمَلُوا}

.[187] كيف نتعامل مع القران العظيم؟ ص (72).

.[188] صحيح البخاري، (115/2).

.[189] صحيح سنن أبي داود (230/2).

.[190] صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني رقم (1880).

.[191] صحيح سنن ابن ماجه، للألباني (59/2).

.[192] حقوق الإنسان، للغزالي ص (181).

.[193] المصدر نفسه ص (182).

.[194] البخاري (6951) ومسلم (2580).

.[195] المحلى، نقلاً عن الحريات، للغنوشي (108/1).

.[196] المصدر نفسه (109/1).

.[197] كيف نتعامل مع القران العظيم؟ ص (75).

.[198] كيف نتعامل مع القران العظيم؟ ص (76).

.[199] المصدر نفسه ص (86).

.[200] المصدر نفسه ص (86).

{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ}

.[201] كيف نتعامل مع القران العظيم؟ ص (87).

.[202] ميثاق الأسرة في الإسلام، اللجنة العالمية للمرأة والطفل ص (132).

.[203] ميثاق الأسرة في الإسلام ص (135).

.[204] الصرف: الفريضة أو النافلة، وقيل: التوبة.

.[205] العدل: التوبة أو الفدية، حديث صحيح رواه أحمد والدارمي.
.[206] ميثاق الأسرة في الإسلام ص(137).
.[207] المصدر نفسه ص(137).
.[208] المصدر نفسه ص(138).
.[209] كيف نتعامل مع القران العظيم؟ ص(87).
.[210] ميثاق الأسرة في الإسلام ص(138).
.[211] حديث حسن رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم والبيهقي، ميثاق الأسرة في الإسلام ص(154).
.[212] المصدر نفسه ص(138).
.[213] كيف نتعامل مع القران العظيم؟ ص(89).
.[214] ملامح المجتمع المسلم، د.يوسف القرضاوي ص (321).
{وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ}
.[215] ملامح المجتمع المسلم، ص(324). وانظر الإسلام والمرأة، للأستاذ سعيد الأفغاني ص (72).
.[216] ملامح المجتمع المسلم ص (328).
{إِذْ}
.[217] ملامح المجتمع المسلم، ص(331).
.[218] ملامح المجتمع المسلم ص(332 . 333)، الإسلام والمرأة، لسعيد الأفغاني ص (51).
.[219] رواه الحاكم وصحح إسناده ووافقه الذهبي (176/4).
.[220] ملامح المجتمع المسلم (334).
.[221] ملامح المجتمع المسلم ص(340).
.[222] ملامح المجتمع المسلم ص(341) الإسلام والمرأة، لسعيد الأفغاني ص (72).
.[223] سنن ابن ماجه رقم (3595).

{فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ}

[224]. المترجلة: المتشبهة بالرجال.

[225]. مسند أحمد رقم (1680) وإسناده صحيح، والديوث: الذي لا يبالي مَنْ دخل على أهله.

[226]. ملامح المجتمع المسلم ص(366 . 367).

[227]. سنن الترمذي رقم (2786) حسن صحيح.

[228]. البخاري رقم (1088).

[229]. ملامح المجتمع المسلم ص(368).

[230]. كيف نتعامل مع القران العظيم؟ ص(97).

[231]. في ظلال القران (129/1).

[232]. المصدر نفسه (171/1).

[233]. الوسطية في القران الكريم، للمؤلف ص(71).

[234]. كيف نتعامل مع القران العظيم؟ ص(98).

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ}

[235]. كيف نتعامل مع القران العظيم؟ ص(101).

[236]. كيف نتعامل مع القران العظيم؟ ص(102).

[237]. البخاري رقم (2076).

[238]. البخاري، الأدب المفرد رقم (188).

[239]. أصول النظام الاجتماعي، محمد الطاهر بن عاشور ص(51).

[240]. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور ص(271).

[241]. صحيح ابن حبان رقم (354).

[242]. أصول النظام الاجتماعي ص (52).

[243]. المصدر نفسه ص(52).

[244]. سماحة الإسلام، عمر عبد العزيز ص(370).

.[245] المصدر نفسه ص(30).

.[246] مسند أحمد (256/5).

.[247] سماحة الإسلام، د.عمر عبد العزيز ص(31).

.[248] أخلاق النبي (ص) في القران والسنة، د. أحمد الحداد (611/2).

.[249] أخلاق النبي (ص) (612/2).

.[250] محاسن التأويل، للقاسمي (157/7).

.[251] مسلم رقم (2751).

.[252] مسلم رقم (2754).

.[253] مسلم رقم (2754)، تحلَّب: اجتمع حليب ثديها فيه.

.[254] أخلاق النبي (ص) (615/2).

.[255] المصدر نفسه (549/2).

.[256] أخلاق النبي (ص) (554/2).

.[257] أسباب هلاك الأمم السالفة، سعيد محمد بابا ص(450).

.[258] أحكام القران (318/2).

.[259] أسباب هلاك الأمم السالفة، سعيد محمد بابا ص(450).

.[260] المصدر نفسه ص(451).

.[261] المصدر نفسه ص(451).

.[262] المصدر نفسه ص(452)، فتح القدير (224/2).

.[263] في ظلال القران (609/4).

.[264] أسباب هلاك الأمم السالفة ص(453).

.[265] تفسير ابن كثير (242/2).

.[266] التفسير الكبير (123/11).

.[267] أخلاق النبي (ص) (558/2).

.[268] أي: ليزيلوا أوساخهم وشعثهم كطول الشعر والظفر.

.[269] الياقوت النفيس، للشاطري ص(264).

.[270] أخلاق النبي (ص) (559/2).

.[271] المصدر نفسه (559/2).

.[272] أخلاق النبي (ص) (560/2).

.[273] أخلاق النبي (ص) (561/2).

.[274] المصدر نفسه (561/2).

.[275] المصدر نفسه (561/2)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص(774).

.[276] أخلاق النبي (ص) (561/2).

.[277] مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي د. زغلول النجار.

.[278] مسند أحمد، لا يأتيه الباطل، د. محمد سعيد رمضان البوطي ص(217).

.[279] مباحث في علوم القران، مناع القطان ص(105).

.[280] الإتقان في علوم القران، للسيوطي (61/1 . 60).

.[281] البرهان في علوم القران (235/1 . 234).

.[282] لا يأتيه الباطل، محمد سعيد رمضان البوطي ص(217).

.[283] تفسير القرطبي (61/1) البخاري (165/5).

.[284] البرهان للزركشي (238/1)، الإتقان (58/1)، فتح الباري في شرح البخاري (18/9)، لا يأتيه الباطل ص(218).

.[285] المصدر نفسه ص(219).

.[286] مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي ص(68).

.[287] البخاري رقم (4710).

.[288] شرح السنة (50/3)، تميز الأمة الإسلامية، د. إسحاق السعدي (595/1).

.[289] لا يأتيه الباطل ص(219).

.[290] حروب الردة وبناء الدولة، أحمد سعيد ص(145).

.[291] استحرّ: كثر واشتد.

.[292] أبو بكر الصديق، للمؤلف ص(262).

.[293] هذه الصفات معيار لاختيار زيد.

.[294] أي: من الأشياء التي عندك وعند غيرك.

.[295] العسب: جريد النخل.

.[296] اللخاف: جمع لخفة، وهي صفائح الحجارة.

.[297] الرقاع: جمع رقعة، وهي قطع الجلود.

.[298] الأكتاف: جمع كتف، وهو العظم الذي للبعير أو الشاة.

.[299] البخاري رقم (4986).

.[300] شرح السنة، للبغوي (522/4).

.[301] الكلالة: من لا ولد له ولا والد.

.[302] أخرجه ابن أبي شيبة (196/7) وإسناده صحيح.

.[303] التفوق والنجابة على نهج الصحابة، حمد العجمي ص(73).

.[304] المصدر نفسه ص(74).

.[305] أبو بكر الصديق، للمؤلف ص(264).

.[306] الحضارة الإسلامية، توفيق الواعي ص(281).

.[307] تميز الأمة الإسلامية (603/1).

.[308] المصدر نفسه (603/1).

.[309] دراسات في القران، أحمد خليل ص(90).

.[310] تميز الأمة الإسلامية (604/1).

.[311] دراسات تاريخية من القران الكريم، محمد بيومي ص(32.31).

.[312] المصدر نفسه (604/1).

.[313] البخاري، رقم (4987).

.[314] عثمان بن عفان، لصادق عرجون ص(171).

.[315] المدينة النبوية في فجر الإسلام والعصر الراشدي (244/2).

.[316] عثمان بن عفان، لصادق عرجون ص(175).

.[317] فتنة مقتل عثمان بن عفان، محمد الغبان (78/1).

.[318] مشق في الكتابة: مد في حروفها وجودها.

.[319] التاريخ الصغير للبخاري (94/1)، إسناده حسن لغيره.

.[320] فتح الباري (18/9)، إسناده صحيح.

.[321] فتنة مقتل عثمان بن عفان (78/1).

.[322] الجامع لأحكام القران (78/1).

.[323] عثمان بن عفان، لصادق عرجون ص(180).

.[324] المصدر نفسه ص(180).

.[325] المصدر نفسه (180).

.[326] أضواء البيان في تاريخ القران، صابر حسن ص(77).

.[327] المصدر نفسه ص 78، عثمان بن عفان، للمؤلف ص(256).

.[328] مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي ص (70 . 71).

.[329] عثمان بن عفان، للمؤلف ص(253).

.[330] العقيدة الإسلامية، د. أحمد جلي ص (211).

.[331] البخاري رقم (4485)، وأحمد رقم (17225).

.[332] البخاري رقم (3461).

.[333] ركائز الإيمان، ص (194).

{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ}

.[334] المحكم في العقيدة د. محمد عياش ص(183).

.[335] المحكم في العقيدة ص(184).

.[336] المصدر نفسه ص(184).

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ}

.[337] المحكم في العقيدة ص (185).

.[338] العقيدة الإسلامية د. أحمد محمد جلي ص (197).

.[339] المحكم في العقيدة ص (187).

.[340] العقيدة الإسلامية، أحمد جلي ص (198).

.[341] ركائز الإيمان ص (195).

{لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ *ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ *}

.[342] ركائز الإيمان ص (197).

.[343] ركائز الإيمان ص (198).

.[344] المصدر نفسه ص (198).

.[345] ركائز الإيمان ص (200).

.[346] صحيح مسلم بشرح النووي (160/2).

.[347] ركائز الإيمان ص (203).